الفصل الثالث

أنبياء بني إسرائيل

- موسى .. الكليم .
- إلياس .. العجيب .
- عيسى .. المسيح .

« أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال .. وظهر لهم إيليا مع موسى . وكانا يتكلمان مع يسوع » (إنجيل مرقس ٩ : ٢ - ٤) .

*

« لا يحتاج الأصحاب إلى طبيب ، بل المرضى » ...

(إنجيل متى ٩ : ١٣)

من أجل ذلك ، جاءهم أطباء (أنبياء) كثيرون ...

*

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا منْ بَعْده بالرُّسُل وَآتَيْنَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَات وَأَيَّدْنَاهُ برُوحِ القُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾ ؟ ! (سورة البقرة : ٨٧) .

*

obeikandl.com

موسى

يمكن تلخيص قصة موسى منذ مولده حتى رسالته بما تقوله أسفار العهد الجديد :

« تهذب موسى بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال ..

وصار غريباً فى أرض مديان حيث ولد ابنين ..

وظهر له ملاك الرب فى برية جبل سيناء ، لهيب نار عليقة . فلما رأى موسى ذلك تعجب من المنظر . وفيما هو يتقدم ليتطلع صار إليه صوت الرب : أنا إلٰه آبائك ، إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحٰق وإلٰه يعقوب .. فهلم الآن أُرسلك إلى مصر » (أعمال الرسل ٧ : ٢٣ - ٣٤) .

ثم نعود الآن إلى التوراة لنعلم منها أنه :

« كان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاثة وثمانين سنة حين كلما فرعون » (خروج ١٧ : ٧) .

وفى أول وحى لموسى ، بعد أن علّمه الله الكثير مما يقول ويفعل ، وأراه آيات وأعاجيب ، كان عاقبة ذلك أن « **قال موسى للرب : استمع أيها السيد ، لستُ أنا صاحب كلام** منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمتَ عبدك بل أنا ثقيل اللسان .

فقال له الرب : مَن صنع للإنسان فماً ، أو مَن يصنع أخرس أو أصم أو أعمى . أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأُعلمك ما تتكلم به .

فقال : استمع أيها السيد . أرسل بيد مَن ترسل .

فحمى غضب الرب على موسى ، وقال : أليس هارون اللاوى أخاك . أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك .. فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه ، وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأُعلمكما ماذا تصنعان » .

(خروج ٤ : ١٠ - ١٥)

لكن القرآن يبرىء موسى عن كل قول غليظ يمكن أن يُعَرِّضه فى مثل تلك الساعات الخالدات لشىء من غضب الله ، ويبيِّن أن حديث الوحى الأول لموسى كان كله رحمة ولطفاً من الله ، أظهر فيه موسى من التهذيب والخشوع والإدراك ما يتفق ووقار النبوَّة لشيخ فى الثمانين من عمره .

لقد قال موسى : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِى * يَفْقَهُواْ قَوْلِى * وَاجْعَلْ لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى * هَارُونَ أَخِى * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى * كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً *

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ (طه : ٢٥ - ٣٦) .

لقد كان موسى واعياً أن ما يطلبه فى هذا المشهد الخالد من خير يعينه على تبليغ رسالته لا بد وأن يناله ، لأنه يطلب من أكرم الأكرمين . وكان حرياً أن يجاب إلى طلبه وزيادة ، فلقد تعهد له الله بالنصر النهائى إذ قال له :

﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ، بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ . (القصص : ٣٥) .

* *

وبعد جهدك جهيد ومحن وأزمات استطاع موسى أن يخرج ببنى إسرائيل من مصر ويقودهم عبر سيناء قاصداً أرض فلسطين .

وفى سيناء تلقى موسى التوراة . « ولما رأى الشعب (الإسرائيلى) أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل **اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا** لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه .

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون .

فأخذ ذلك من أيديهم وصوَّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً . فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . **فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال : غداً عيد للرب** . فبكَّروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدَّموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب .

فقال الرب لموسى : اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ..

صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له .

وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم .. فتضرع موسى أمام الرب إلٰهه .. **فندم الرب عن الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه** .

فانصرف موسى ونزل من الجبل .. ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذرَّاه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل .

وقال موسى لهارون : ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبتَ عليه خطية عظيمة ؟

فقال هارون : لا يحم غضب سيدى . أنت تعرف الشعب أنه فى شر .

فقالوا لى اصنع لنا آلهة تسير أمامنا .. فقلت لهم : مَن له ذهب فلينزعه ويعطنى فطرحته فى النار فخرج هذا العجل » .

(خروج ٣٢ : ١ - ٢٥)

لقد سجلت التوراة على هارون أنه شارك الشعب الإسرائيلى كفره إذ صنع بيده العجل الذى عبدوه ونصب نفسه كاهناً له فبنى له مذبحاً وجعل له فى الغد عيداً .

ومعاذ اللّٰه أن يكون هارون النبى كذلك .. !

فلقد تكفل القرآن ببراءة هارون من هذا الجُرم الشنيع الذى لا يمكن الاعتذار عنه ، فقرر أن الذى صنع العجل إنما هو شخص آخر غير هارون ، كما سجل رفض هارون لتلك الفكرة الخبيثة وتنديده بها - وذلك فى قول الحق :

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى *

قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُواْ أَمْرِى *

قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ .

(طه : ٨٦ - ٩١)

*

وتنسب التوراة إلى موسى وهارون عدم إيمانهما بالله ، بل وتسجل عليهما الخيانة التى كان ثمنها أن حرمت عليهما أرض فلسطين . فلقد كان آخر وحى تلقاه موسى يقول على لسان الرب :

« اصعد إلى جبل عباريم .. الذى قبالة أريحا وانظر إلى أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك فى جبل هود وضم إلى قومه ، **لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل** عند ماء مريبة قادش فى برية صين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل ، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك » .

(تثنية ٣٢ : ٤٩ - ٥٢)

لقد كان ما حدث فى برية صين أن الشعب الإسرائيلى تذمر على الرب وسخط على عملية إخراجه من أرض مصر ولم يكن لموسى وهارون دخل فى ذلك ولا يمكن أن يكون وفى هذا تقول التوراة :

« أتى بنو إسرائيل الجماعة كلها إلى برية صين .. **ولم يكن ماء للجماعة ، فاجتمعوا على موسى وهارون . وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين :**

ليتنا فنينا فناء إخوتنا أما الرب . لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكى نموت فيها نحن ومواشينا ؟ ليس هو مكان زرع وتين وكَرْم ورمان ولا فيه ماء للشرب .

فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما .

فتراءى لهما مجد الرب . وكلّم الرب موسى قائلاً : خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكَلّمَا الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها .

فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره وجمع موسى وهارون الجمهور أما الصخرة فقال لهم : اسمعوا أيها المردة ، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير ، فشربت الجماعة ومواشيها .

فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تُدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها. هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدس فيهم .

وكلّم الرب موسى وهارون فى جبل هور .. قائلاً : **يضم هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التى أعطيتُ لبنى إسرائيل لأنكم عصيتم قولى عند ماء مريبة ..**

فمات هارون هناك على رأس الجبل » (العدد : ٢٠) .

*

لكن القرآن يبرىء موسى وهارون من كل ما يمسهما من أذى ألحقه بهما كَتَبة الأسفار من الإسرائيليين فحين تخاذل بنو إسرائيل عن دخول أرض فلسطين كان موسى مقداماً - كصورته المشرقة فى القرآن - يتقدم بنفسه ويضمن كذلك نفس أخيه . وفى هذا يقول القرآن :

﴿ قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ *

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ *

قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا ، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى ، فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَـةً ، يَتِيهُونَ فِى الأَرْضِ ، فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ ﴾ .

(المائدة : ٢٢ - ٢٦)

لقد عطرت سيرة موسى فى القرآن ويكفى أن يقول الحق فيه :

﴿ وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ مُوسَىٰ ، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً ﴾ (مريم : ٥١ - ٥٣) .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ العَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الآخِرِينَ* سَلَامٌ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ ﴾ . (الصافات : ١١٤ - ١٢٢) .

* * *

إلياس

هو إيليا ذو العزائم والنبى أبو العجائب ، يجد فى سيرته الباحثون عن المعجزات والخوارق الشىء الكثير والمثير .

لقد كان إلياسين هذا شديداً على نفسه وكانت هيئته أنه « رجل أشعر ، متنطق بمنطقة من جلد على حقويه » (الملوك الثانى ١ : ٨) يسكن البرارى ويلجأ إلى الجبال ، ويعيش زاهداً تقياً ورعاً .

وكان إيليا التشبى هذا قوياً فى الحق شديداً على أعداء الله ، فقد ابتلى فى زمنه بملك جبار يخضع لزوجة طاغية ، ذلك هو آخاب الذى عمل « الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله .. حتى اتخذ إيزابل ابنة ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له .. وزاد آخاب فى العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله » .

(الملوك الأول ١٦ : ٣٠ - ٣٣)

*

لقد كان إيليا يتنبأ باسم الإله الحى الذى لا يموت - بحدوث القحط والجفاف فتتحقق نبؤته تماماً :

« قال إيليا .. لآخاب : حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه ، أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين ، **إلا عند قولى** ..

وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر فى الأرض » .

(الملوك الأول ١٧ : ١ - ٧)

ثم عاد إيليا وتنبأ بانقضاء سنوات الجفاف فتحققت نبؤته بانهمار الأمطار :

« وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا ، فى السنة الثالثة ، قائلاً : اذهب وتراء لآخاب فأعطى مطراً على وجه الأرض . فذهب إيليا ليتراءى لآخاب،

وكان الجوع شديداً فى السامرة .. وقال إيليا لآخاب : اصعد كل واشرب لأنه حس دوى مطر .. وأما إيليا فصعد إلى رأس الكرمل وخَرَّ إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه ، وقال لغلامه : اصعد تطلع نحو البحر . فصعد وتطلع وقال : ليس شىء ، فقال : ارجع سبع مرات ..

وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسوَّدت من الغيم والريح وكان مطر عظيم » . (الملوك الأول : ١٨)

وفى مواجهة عاصفة بين إيليا وآخاب تحدى إيليا أنبياء البعل الكذابين أن يتقدم هو بقربان إلى الرب إلهه ، ويتقدم أولئكم الكذابون بقربان إلى البعل إلههم وتكون علامة الإله الحق أن يرسل ناراً من السماء لتأكل القربان الذى دعى باسمه :

« لما رأى آخاب إيليا قال له آخاب : أأنت هو مكدر إسرائيل ؟ فقال : لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بتركككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم ..

فالآن ارسل واجمع إلىَّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل **وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السوارى أربع المئة** الذين يأكلون على مائدة إيزابل .

فأرسل آخاب إلى جميع بنى إسرائيل وجمع الأنبياء (الكذابين) إلى جبل الكرمل ..

فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال : حتى متى تعرجون بين الفرقتين . إن كان الرب هو اللّه فاتبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه .. ثم قال إيليا للشعب : أنا بقيت نبياً للرب وحدى وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلاً ، فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً .. وأنا أُقرِّب الثور الآخر .. ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب . والإله الذى يجيب بنار فهو اللّه ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : الكلام حسن ..

فأخذوا الثور .. وقرَّبوه ودعوا باسم البعل .. فلم يكن صوت ولا مجيب ..

وقال إيليا لجميع الشعب : تقدموا إلىّ .. وقطع الثور ووضعه على الحطب .. وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال : **أيها الرب إله إبراهيم**

وإسحق وإسرائيل ، ليعلم اليوم أنك أنت اللّه فى إسرائيل وأنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور ..

استجبنى يارب ..

فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة ..

فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو اللّه ، الرب هو اللّه ..

فقال لهم إيليا : امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل . فأمسكوهم ، فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك » (الملوك الأول ١٨)

إن العبرة الواضحة فى قصة إيليا ومعجزاته أن ما يجرى من آيات على يد كل نبى ولو كان عجباً ، إنما يتم بأمر اللّه ، وليس هناك عذر لأى إنسان كائناً مَن كان أن يتيه فى نبى بسبب معجزاته فذاك بُعْدٌ عن الحقيقة وضياع .

*

وكان أمر تدبير الطعام إلى إيليا عجيباً فقد عهد به اللّه إلى مخلوقات ضعيفة كالغربان من الطير ، أو امرأة أرملة من بنى الإنسان حلت بها بركة إلياس :

« وكان كلام الرب له قائلاً : انطلق من هنا .. واختبىء عند نهر كريث ...

فتشرب من النهر وقد أمرتُ الغربان أن تعولك .

فانطلق وعمل حسب كلام الرب .. وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً .

وكان له كلام الرب قائلاً : قم اذهب إلى صرفة وأقم هناك هو ذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك فقام وذهب إلى صرفة .. وإذا بامرأة أرملة هناك تقشر عيداناً فناداها .. وقال : هاتى لى كسرة خبز فى يدك . فقالت : عندى ملء كف فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز . فقال لها إيليا : لا تخافى ..

لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل : أن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذى فيه يعطى الرب مطراً على وجه الأرض .

فذهبت وفعلت حسب قول إيليا وأكلت هى وبيتها أياماً ، كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذى تكلم به عن يد إيليا » .

(الملوك الأول ١٧)

*

وحدث أثناء إقامة إيليا عند تلك الأرملة أن مرض ابنها مرضاً قضى عليه ، فتضرع إيليا إلى اللّه أن يُحيى ذلك الميت ، وقد استجاب اللّه دعاءه :

« قال لها (إيليا) : أعطينى ابنك وأخذه من حضنها .. وأضجعه على سريره ، وصرخ إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى ، أأيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأتَ بإماتتك ابنها .. فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه .

فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش .

فأخذ إيليا الولد .. ودفعه إلى أمه وقال إيليا : انظرى ابنك حى .

فقالت المرأة لإيليا : هذا الوقت علمتُ أنك رجل اللّه وأن كلام الرب فى فمك حق » (الملوك الأول ١٧ : ١٩ - ٢٤) .

إن الحق هو ما شهدت به المرأة وهو ما يشهد به كل عاقل على صدق إيمان هذه المرأة التى لم تأخذها روعة الموقف ولم يذهب بعقلها ما صنعه إيليا من إيحاء لابنها بعد موت أحزنها وأثكلها . ولم تقل المرأة لإيليا :

علمتُ أن فيك جانباً إلهياً لأنك فعلتَ ما اختص به الإله المحيى المميت ، ولكنها قالت له بإيمان الراسخين : علمتُ أنك رجل اللّه وأن كلام الرب فى فمك ومن ثَمَّ إن أحييتَ أو أمَتَ فلن يكون ذلك إلا بأمر اللّه .

*

وحين انتهت حياة إيليا فإنه رُفِعَ إلى السماء ولم يذق الموت على الأرض :

« قال إيليا لإليشع (تلميذه) : اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أُوخذ منك .

فقال إليشع : ليكن نصيب اثنين من روحك عليَّ ...

وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا بمركبة من نار وخيل من نار فانفصلت بينهما فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء .

وكان إليشع يرى وهو يصرخ : يا أبى ، يا مركبة إسرائيل وفرسانها ، ولم يره بعد..

فأخذ رداء إيليا الذى سقط عنه فضرب الماء .. فانطلق إلى هنا وهناك فعبر إليشع .

ولما رآه بنو الأنبياء .. قالوا : قد استقرت روح إيليا على إليشع فجاءوا للقائه وسجدوا له إلى الأرض » (الملوك الثانى ٢ : ٩ - ١٥) .

هذا هو إيليا العجيب - كما يُرَى فى أسفار العهد القديم - ذو الرداء العجيب الذى شابه عصا موسى حين فلق الماء فعبر العابرون .

* *

وفى أسفار العهد الجديد نجد إيليا يحظى بما يليق به كنبى عظيم ، فقد كان له نشاط بعد انقضاء حياته على الأرض .

إذ ظهر إيليا للمسيح وتلاميذه ، وهؤلاء سمعوه يلقى القول إلى المسيح :

« أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم ..

وظهر لهم إيليا مع موسى ، وكانا يتكلمان مع يسوع .

فجعل بطرس يقول ليسوع : ... فلنصنع ثلاث مظال ، لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة ، لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين .. فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً غير يسوع وحده معهم » (مرقس ٩ : ٢ - ٨) .

ولقد كان الكهنة والشعب الإسرائيلى يتوقع عودة إيليا قبل مجىء المسيح كما فهموا ذلك من نبوءات الكتب والأنبياء ولذلك ترددوا فى الإيمان بالمسيح :

« سأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكَتَبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً » .

(متى ١٧ : ١٠)

*

وفى القرآن الكريم نجد إيليا موضع تكريم ككل أنبياء الله ورسله :

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ *

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ *

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(الصافات : ١٢٣ - ١٣٢)

هذا هو إيليا الأول الذى طابت سيرته فى كل الكتب المقدسة ، والذى تمضى بعده القرون الطويلة قبل أن يظهر إيليا آخر - يحيى بن زكريا - يعيد لنا سيرته فى القوة على نفسه والشدة على الحاكم الظالم .

* * *

عيسى

- لفظ المسيح :

ظهر فى بنى إسرائيل مسحاء كثيرون ، كانوا يحظون بهذا اللّقب بمجرد أن يمسحهم أحد الأنبياء بالزيت المقدس الطاهر . فهكذا كان الحال مع شاول الذى مسحه النبى صموئيل :

« والرب كشف أذن صموئيل .. قائلاً : غداً فى مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين ، فامسحه رئيساً لشعبى إسرائيل ..

فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه ..

وكان عندما أدار (شاول) كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن اللّه أعطاه قلبا آخر .. وإذا بزمرة من الأنبياء لقيته **فحل عليه روح اللّه فتنبأ فى وسطهم** » (صموئيل الأول ٩ : ١٥ - ١٦) .

فكان المسيح هو اللقب الذى حظى به شاول كما أعلن صموئيل :

« وقال صموئيل لكل إسرائيل : « اشهدوا علىّ قُدّام الرب وقُدّام مسيحه .. .. شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه اليوم هذا أنكم لم تجدوا بيدى شيئاً » .

(صموئيل الأول : ١٢ : ١ - ٥)

وكذلك شهد داود لشاول بأنه مسيح الرب :

« قال (داود) لرجاله : حاشا لى .. أن أعمل هذا الأمر بسيدى (شاول) بمسيح الرب ، فأمد يدى إليه لأنه مسيح الرب » (صموئيل الأول ٢٤ : ٦) .

وبعد شاول ، قام صموئيل بمسح داود ، فتحول إلى مسيح آخر :

« قال الرب (لصموئيل) : قم امسحه .. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه . .. **وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً** » .

(صموئيل الأول ١٦ : ١٢- ١٣)

وقبل أن يصعد إلياس إلى السماء فإنه مسح تلميذه إليشع نبياً من بعده :

« وقال الرب (لإيليا) : اذهب .. وامسح إليشع بن شافاط .. نبياً عوضاً عنك » (الملوك الأول ١٩ : ١٥ - ١٧) .

وأخيراً جاء المسيح عيسى ، أعظم مسيح ظهر فى بنى إسرائيل ، والذى سمى فى الإنجيل مسيح الرب :

« كان رجل فى أُورشليم اسمه سمعان . أُوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى **مسيح الرب .. أخذه على زراعيه وبارك الله** » .

(لوقا ٢ : ٢٥ - ٢٨)

* *

● ولادة العذراء :

اقتضت إرادة الله أن تلد سارة العجوز لإبراهيم الشيخ الهَرِم ابناً هو إسحق . وإذا كان إنجاب الرجل العجوز ذُرِّية فى شيخوخته محتمَلاً إلى حد ما فإن إنجاب المرأة حين تتقدم بها السن وتتعدى التسعين عاماً يُعتبر شبه مستحيل . ولكنه أمر الله يقول للشىء : ﴿ كُنْ ، فَيَكُونُ ﴾ . ولهذا حدث لإبراهيم ما أثار عجبه حين بشَّرته الملائكة بإسحق ، إذ كان قد « سقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال فى قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة » ؟!

(تكوين ١٧ : ١٧)

وفعلاً ولدت سارة - على الرغم من عقرها - وعلى الرغم من شيخوخة إبراهيم ومرت القرون .. أكثر من سبعة عشر قرناً من الزمان .

ثم كانت إرادة الله أن يُذكِّر الناس بما حدث لأبى الأنبياء إبراهيم ، فأعاد سيرته الأولى فى الإنجاب على الكِبَرِ ممثلة تماماً فى زكريا وزوجه العاقر ، إذ تعجب هذا كما سبق أن تعجب جده إبراهيم وقال للملاك :

« كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قُدَّام الله وأُرْسِلتُ لأكلمك وأُبَشِّرك بهذا » .

(لوقا ١ : ١٨- ١٩)

وبعد هذا التمهيد الإلٰهى المحكم ، والذى تحقق فيه حدوث إنجاب فى حالة عجيبة ، أعقبه فى حينه بحالة أعجب ، ألا وهى حدوث إنجاب للعذراء مريم .

فالإنجيل يقول : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أُمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (كزوجين) وُجِدَت حبلى من الروح القدس » .

(متى ١ : ١٨)

والدليل على أن توقيت حمل زوجة زكريا العاقر كان حكمة أُريد بها التمهيد لحادث حمل العذراء - لكى يتقبله الناس دون زيغ أو طغيان - أن حمل زوجة زكريا العجيب استُخدم حجة لإقناع مريم ذاتها بالاستسلام لما يثيره حملها الأعجب من مشاكل واضطراب فى نفسها وفى بيئتها .

فبعد أن بشَّرها الملاك بالحمل والولادة « قالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ! .

فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك .. وهو ذا اليصابات (زوجة زكريا) نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن فى شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً ، لأنه ليس شىء غير ممكن لدى اللّه .

فقالت مريم : هو ذا أنا أَمَة الرب (واحدة من عبيد اللّه) ليكن لى كقولك . فمضى من عندها الملاك » (لوقا ١ : ٣٤ - ٣٨) .

ولا شك فى أن حدوث حمل لفتاة عذراء دون اتصال برجل ما على أية صورة من الصور ، إنما هو شىء خارق للعادة لأن ما اعتاد عليه الناس هو ضرورة تلقيح المرأة من الرجل حتى يتم الحمل وتحدث الولادة . لكن المؤمنين باللّه ينظرون إلى حادث حمل مريم العذراء بابنها المسيح إثر نفخة من الروح القدس باعتباره واحداً من مظاهر قدرة اللّه ورعايته لخلقه .

فاللّه - سبحانه - أوجد المسيح من امرأة فقط دون تدخل من رجل ، وكان نتاج ذلك مولد إنسان بالصورة التى تلد بها كل النساء . وبذلك خلق اللّه إنساناً ذا روح من إنسان ذى روح .

ومن قبل أوجد اللّه حوّاء ، الأم الأولى للبَشرية كجزء من آدم ، وبذلك خلق اللّه إنساناً ذا روح من إنسان ذى روح ، لكن عملية مولد حوّاء كانت على غير الصورة التى توالدت بها البَشرية بعد ذلك ، فحوّاء لم يُحمل بها فى بطن ولم تنزلق عند ولادتها من رحم .

ومن قبل أوجد اللّه آدم من قبضة من طين ، أى خلق إنساناً ذا روح من جماد غير ذى روح . ولقد كانت الروح التى حلّت فى آدم نفخة من روح اللّه .

ومن قبل آدم خلق اللّه الأكوان الرهيبة بعجائبها وعظائمها من العدم ، أى خلق أشياء من لا شىء .

فاللّه عند المؤمنين ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٠) .

ويمكن البرهنة على أن احتمالات الإنجاب للحالات الثلاث التى عرضناها وهى: إبراهيم الشيخ وزوجه العاقر سارة ، وزكريا الشيخ وزوجه العاقر اليصابات ، ومريم العذراء بلا زوج - كلها متساوية ، وذلك كالآتى :

نعلم من علوم الطبيعة أنه إذا توقّف حَدَث على عاملين (أ) ، (ب) بحيث لا يقع الحَدَث إلا إذا وُجِدَ العاملان معاً ، فإن احتمال وقوع الحَدَث يتوقف على احتمال وجود العاملين الذى نُعَبِّر عنه بالصورة المبسطة التالية :

احتمال الحَدَث = احتمال العامل (أ) × احتمال العامل (ب) .

وفى حالاتنا هذه نقول إن :

الحَدَث = الحمل .

العامل (أ) = حيوانات منوية صالحة .

العامل (ب) = بويضة أنثى صالحة .

ففى حالة إبراهيم نجد أن :

العامل (أ) محتمل وجوده ، أى أن قيمته أكبر من الصفر ولتكن (س) .

العامل (ب) غير محتمل وجوده ، لأن سارة بلغت ٩٠ عاماً ، أى أن قيمته تساوى صفر

∴ احتمال الحمل فى حالة إبراهيم = س × . = صفر .

وبالمثل فى حالة زكريا لأن الحالتين متماثلتين تماماً .

وفى حالة مريم نجد أن :

العامل (أ) غير موجود أى أن قيمته = صفر

العامل (ب) يحتمل - بل يغلب - وجوده فى العذراء الناضجة ، أى أن قيمته أكبر من الصفر ولتكن (ص) .

∴ احتمال الحمل فى حالة مريم = . × ص = صفر

ومن ذلك يتبيَّن أن الحالات الثلاث متساوية . ولا يبقى لنا إلا أن نرد الأمر فيها جميعاً « للّه العلى الكبير » .

*

هذا .. ولم تكن ولادة العذراء مريم أول حادثة من نوعها ، فقد سبقتها على الأقل حالة أخرى ذكرتها المصادر المسيحية عند الحديث عن تفسير النبوءة التى نقلها متى فى إنجيله من سِفر أشعياء ، وفيها يقول :

« هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل (الذى تفسيره اللّه معنا) » (١ : ٢٣) .

يقول المفسِّرون :

« هذه النبوءة مذكورة فى (إش ٧ : ١٤) وقد أوحى بها نحو (٧٤٠ ق . م) والعبارة منقولة عن الترجمة السبعينية (وهى ترجمة نقلها من العبرانية إلى اليونانية بعض علماء اليهود فى الإسكندرية بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ ق . م . وهى النسخة التى غلب استعمال اليهود لها فى أيام المسيح) .

وظن البعض أن هذه النبوءة تمت أولاً فى أيام أحاز الملك فى ولادة ولد من فتاة كانت حينئذ عذراء لكنها تزوجت فيما بعد . ثم إنها تمت ثانياً بأسمى معنى بولادة المسيح ، وظن آخرون أن أشعياء لم يشر إلا إلى يسوع ابن مريم . **والرأى الأول هو الأرجح لأنه كثيراً ما رأينا النبوءة الواحدة تمت عدة مرات** » [١] .

من ذلك يتبيَّن أن الشعب الإسرائيلى قد ولدت فيه عذراء مرة - على الأقل - منذ حوالى سبعة قرون قبل أن تلد فيه عذراء أُخرى هى مريم . وفى جميع الحالات فإن هذه الولادة العذرية لا يمكن أن تعنى شيئاً بالنسبة للمولود - مثل الحديث عن جانب لاهوتى له أو نحو ذلك - لكنها تعنى شيئاً واحداً وهو أن اللّه - سبحانه - ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ [٢] ، لأن اللّه ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [٣] .

*

وإذا تركنا موضوع ولادة العذراء عند هذا الحد الذى يكفى لتقرير أن مجىء المسيح عيسى على تلك الصورة المعروفة ليس أكثر عجباً من حوّاء أم البشرية أو مجىء آدم الإنسان الأول - ثم انتقلنا إلى ميدان العلم الحديث ، لوجدناه يتمشى تماماً مع هذا الذى قررناه :

فمنذ ثلاثة عشر عاماً نشرت مجلة « لانست » [٤] الطبية الإنجليزية المعروفة ، بحثاً بعنوان « التوالد العذرى فى الثدييات » جاء فيه : « إن إمكانية حدوث حمل لامرأة دون إدخال واحد - على الأقل - من الحيوانات المنوية إلى رحمها يعتبر أمراً لا يستطيع الإنسان العادى قبوله برضا . ولبضع قرون وقفت الفكرة العلمية فى صف هذا الإنسان العادى ، لكن علماء الأحياء اليوم وخاصة علماء الوراثة الخلوية قد يكونون أقل تشدداً فى استبعاد مثل هذا الاحتمال ..

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل : تفسير إنجيل متى - ص ٩

(٢) آل عمران : ٤٧ (٣) البقرة : ٢٠ (٤) مجلد عام ١٩٥٥

إن بعض الدوافع لذلك ناقشتها فى الأسبوع الماضى الدكتورة « هيلين سبيروای » أستاذة علم البيولوچيا الإحصائية بجامعة لندن ، وذلك فى محاضرة لها بعنوان : ولادة العذارى . ولقد كان ذلك بمناسبة ما **تلاحظ من أن بعض أنواع الأسماك التى عُزِلَت أُناثها منذ ولادتها قد وُجِدَت مخصبة ونتج عن ذلك ولادتها لنسل يتكوّن فى غالبيته من إناث ..**

إن التوالد العذرى الذى تبدأ فيه البويضة بالانقسام ذاتياً ، منتجة جنيناً بسيطاً ، أو قيامها بتعويض الكروموزوم الأبوى الناقص بشكل ما من أشكال الازدواج يعتبر شيئاً نادراً جداً فى الفقاريات ذات الدم الحار ، لكنه شىء عادى فى اللافقاريات .

وقد أمكن تسجيل عملية انقسام البويضة عذرياً فى القطط [١] ، **وحيوان ابن مقرض** [٢] **ثم حديثاً فى بعض دجـاج الرومى غير المخصب** [٣] .

لكن تطور التوالد العذرى بمعناه الكامل بحيث يعطى نسلاً قابلاً للنمو والحياة ، يمكن عمله فى الثدييات وذلك بتبريد قنوات فالوب ، ولقد أمكن إنتاج كثير من الأرانب عديمة الآباء بهذا الأسلوب ... وبمراعاة كل تلك الاعتبارات ، علينا أن نعيد النظر فى مبررات اعتقادنا بأن التوالد الذاتى فى الفقاريات شىء نادر ، وأنه لا وجود له فى الثدييات » .

هذا .. وكانت صحيفة « الصنداى بكتوريال » البريطانية قد أشارت فى عددها الصادر بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٥٥ إلى محاضرة الدكتورة « هيلين سبيروای » عن « ولادة العذارى » وتلقت نتيجة لذلك عدداً من الرسائل من أمهات يقلن أنهن تعرضن لعملية حمل وولادة عذرية دون تدخل من أى رجل على أية صورة

---

(١) Strassmann, E.O. Amer. J. Obstet. Gynec. 1949 , 58, 237 .

(٢) Chang, M.C. Anat. Rec. 1950,108,31.

(٣) Olsen, M.W., Marsden, S.J. Science, 1954, 120, 545.

من الصور . وآنذاك شكلت الصحيفة لجنة من الأخصائيين أجرت فحوصاً طبية واختبارات علمية على عدد من تلكم الأمهات واستقر رأى اللجنة على استمرار بحث حالة سيدة تدعى إميمارى چونز وابنتها مونيكا ذات الأحد عشر عاماً والتى قالت أمها إنها ولدتها من غير أب . وبعد ستة أشهر قالت اللجنة فى تقريرها :

« لقد استخدمنا جميع التجارب والاختبارات العلمية الهامة المعروفة فى عالم الطب ، ولم نستطع أن نثبت أن أى رجل قد اشترك بأية وسيلة فى خلق هذه الفتاة . إن جميع النتائج التى وصلنا إليها تتمشى مع نظرية الولادة العذرية ، ولم نجد فى هذه الفتاة أثراً يمكن أن يأتى من أى شخص آخر سوى أمها » (١) .

كذلك أثبتت التجارب أنه بتنشيط البويضة بطرق كيميائية أو طبيعية فمن المحتمَل تكوين الجنين كما حدث للضفادع منذ ٤٥ عاماً عندما وُخزَت بويضة الأنثى بدبوس فنشطت وكوَّنت جنيناً دون حيوانات منوية من الذكر وتحدث هذه الحالة فى معظم اللافقاريات كالنمل .

وقد يكفى لتلقيح البويضة تنبيه ميكانيكى أو كهربائى كما سبق أن أعلن ذلك الأستاذ « سيفرز » رئيس مجمع ترقية العلوم البريطانى عام ١٩١٢ (٢) .

واليوم ونحن فى عام ١٩٧٨ يطالعنا ما أذاعته وكالة يونيتدبرس للأنباء وهذا نصه : « وضعت أمس سيدة فى جزر الرأس الأخضر طفلة حاملاً وظن الأطباء أن الطفلة مصابة بورم فى بطنها ولكن الأشعة أوضحت أن ببطنها جنيناً عمره عدة أشهر ، وقرر الأطباء إجراء عملية جراحية عاجلة لإنقاذ حياة الطفلة » (٣) .

*

(١) صحيفة « أخبار اليوم » بتاريخ ٣٠ يونية ١٩٥٦

(٢) من كتاب : العلم والعمران - فؤاد صروف - ص ١٣٢

(٣) صحيفة « الجمهورية » بتاريخ ٩ مارس ١٩٧٨

لقد ضل كثيرون فى أمر ولادة العذراء مريم ، فالبعض أنكره وكفر وقال عليها آنذاك « **بهتاناً عظيماً** » لا يزال يتردد صداه فى الإنجيل حتى اليوم . ففى إحدى محاورات المسيح مع اليهود ، قالوا له : « **إننا لم نولد من زنا** » .

(يوحنا ٨ : ٤١)

بينما رأى البعض الآخر أن ولادة المسيح عيسى على تلك الصورة النادرة تعنى أن فيه جانباً إلهياً يتميَّز به عن بقية البَشر وإن جاء على صورة بَشر .

وبين رفض المسيح والغلو فيه تبقى حقيقة أمره واضحة كل الوضوح لا غموض فيها ولا إبهام . فالمؤمنون بالله جميعاً يشهدون : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الشورى : ٤٩) .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس : ٨٢)

* *

• أسماء عيسى وألقابه :

لقد نسب كتَبَة الأناجيل المسيح عيسى إلى يوسف النجار زوج أُمه مريم ، فيقول متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح .. إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ..... وسليمان ولد - رحعبام ... ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم ، التى وُلِدَ منها يسوع الذى يدعى المسيح » (متى ١ : ١ - ١٦) .

ويقول لوقا : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : ابن يوسف بن هالى ... ... ابن ناثان بن داود » (لوقا ٣ : ٢٣ - ٣١) .

ولقد صدَّقت مريم على نسبة ابنها عيسى إلى زوجها يوسف ، إذ يقول لوقا : « **كان أبواه (مريم ويوسف)** يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد . وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما .. ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه .. فلما أبصراه اندهشا .

وقالت له أُمه : يا بنى ، لماذا فعلتَ بنا هكذا . هو ذا **أبوك وأنا** كنا نطلبك معذَّبين » (لوقا ٢ : ٤١ - ٤٨) .

وعُرِفَ المسيح عيسى أيضاً بابن داود ، يقول لوقا : « أُرسل جبرائيل الملاك من اللّه .. إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف . فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم .. ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً .. ويعطيه الرب الإلهى كرسى **داود أبيه** » (لوقا ١ : ٢٦ - ٣٢) .

وقد قبل المسيح لقب ابن داود من المؤمنين به : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير ، كان بارتيماس الأعمى .. جالساً على الطريق .. فلما سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول يا **يسوع بن داود** ارحمنى - فأجاب يسوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : يا سيدى أن أبصر . فقال له يسوع : اذهب ، إيمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق » (مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢) .

على أن الاسم الذى اختاره المسيح لنفسه وكرَّره كثيراً فى أحاديثه هو « **ابن الإنسان** » وما ذلك إلا لكى يعى الناس جميعاً أنه أولاً وأخيراً بَشر مثل كل البَشر ، ومَن غلا فيه بعد ذلك وخلط بينه وبين اللّه على أية صورة من الصور ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (المؤمنون : ١١٧) .

لقد شاع استخدام هذا الاسم فى الأناجيل الأربعة وكان هو المفضَّل عند المسيح حين يتكلم عن نفسه :

« كل مَن اعترف بى قُدَّام الناس يعترف به **ابن الإنسان** قُدَّام ملائكة اللّه ، وكل مَن قال كلمة على **ابن الإنسان** يُغْفَر له ، وأما من جَدَّف على الروح القدس فلا يُغْفَر له » (لوقا ١٢ : ٨ - ١٠) .

« قال له واحد : ياسيد ، أتبعك أينما تمضى ؟ فقال له يسوع : للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما **ابن الإنسان** فليس له أن يسند رأسه » .

(لوقا ٩ : ٥٧ - ٥٨)

« **ابن الإنسان** قد جاء لكى يُخَلِّص ما قد هلك » (متى ١٨ : ١١) .

« الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى **ابن الإنسان** » .

(متى ١٠ : ٢٣)

« من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة اللّه يصعدون وينزلون على **ابن الإنسان** » (يوحنا ١ : ٥١) .

« اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم **ابن الإنسان** » (يوحنا ٦ : ٢٧) .

ولقد أكَدَّ عيسى لتلاميذه أنه المسيح ، فليعلموا ذلك وهو لا يطلب منهم أكثر من هذا :

« خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيليبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : مَن يقول الناس أنى أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان ، وآخرون : إيليا ، وآخرون : واحد من الأنبياء .

فقال لهم : وأنتم من تقولون إنى أنا ؟

فأجاب بطرس وقال له : **أنت المسيح** » (مرقس ٨ : ٢٧ - ٧٩) .

لكن كاتب إنجيل متى أضاف على قول بطرس هذا شيئاً آخر من تلك الأقوال التى فتحت الأبواب واسعة للجدل والشقاق بل والحروب عَبر القرون . فهو يقول: « ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيليبس .. قال لهم : وأنتم مَن تقولون إنى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أن المسيح ابن اللّه الحى » .

(متى ١٦ : ١٣ - ١٦)

ويقول چون فنتون [١] فى تعليقه على هذه الفقرة من إنجيل متى : « لقد أضاف متى كلمات : ابن اللّه الحى ، إلى كلمات مرقس : أنت المسيح ، كما أضاف أيضاً كلمات يسوع التالية ...

---

(١) عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا .

ومن هذا يتبين أن سياق الكلام حالياً - يحتمل ألا يكون هو المضمون الأصلى . لقد مارس متى هنا عادته فى إضافة أقوال إلى أقوال مرقس » [١] .

ومن المعلوم أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل وأن كُلاً من متى ولوقا استعانا به عندما كتبا إنجيلهما . ومهما يكن من أمر فإن تعبير « ابن اللّه » قد استخدمه الإسرائيليون القدامى وكتبة الأسفار ليدل على محبة اللّه ورعايته ولا يسمح بشىء أكثر من هذا .

فحين ذهب موسى لفرعون ، يقول كتبة التوراة : « قال الرب لموسى .. تقول لفرعون : هكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر .. أطْلِقْ إبنى (الشعب الإسرائيلى) ليعبدنى ..

بعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون : هكذا يقول الرب إلٰه إسرائيل : أطلق شعبى ليعيدوا لى فى البرية » (خروج ٤ : ٢١ - ٢٣ ، ٥ : ١) .

« أنتم أولاد الرب إلٰهكم .. لأنك شعب مقدس للرب إلهك » .

(تثنية ١٤ : ١- ٢)

« أبو اليتامى ، وقاضى الأرامل ، اللّه » (مزمور ٦٨ : ٥) .

« وجدت داود عبدى بدهن قدسى مسحته . هو يدعونى : أبى أنت . إلٰهى وصخرة خلاصى » (مزمور ٨٩ : ٢٠ - ٢٦) .

« كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه »

(مزمور ١٠٣ : ١٣)

« الذى يحبه الرب يؤدبه ، وكأب بابن يُسَرُّ به » (أمثال ٣ : ١٢) .

« قال داود لسليمان .. كان إلىَّ كلام الرب قائلاً : .. هو ذا يولد لك ابن .. اسمه يكون سليمان .. هو يبنى بيتاً لاسمى وهو يكون لى إبناً وأنا له أباً » .

(أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٧ - ١٠)

---

(١) J. C. Fenton : SAINT MATTEW, P. 265.

ويقول أشعياء : « إنك أنت أبونا .. أنت يا رب أبونا ، ولينا منذ الأبد اسمك » (أشعياء ٦٣ : ١٦) .

وفى محاورة بين المسيح واليهود قالوا له : « لنا أب واحد وهو اللّه » .
(يوحنا ٨ : ٤١)

ويشتهر إنجيل يوحنا بكثرة تفسيراته ، وهو هنا يقول : « أولاد اللّه أى المؤمنون باسمه » (يوحنا ١ : ١٢) .

كذلك يقول : « ربى ، الذى تفسيره : يا معلم » (يوحنا ١ : ٣٨) ، « ربونى الذى تفسيره : يا معلم » (يوحنا ٢٠ : ١٦) .

ويقول : « اللّه ، الآب » - (بمد الهمزة) . (يوحنا ٦ : ٢٧) .

ويقول إنجيل متى على لسان المسيح : معلمكم واحد ، المسيح ، وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات » .
(متى ٢٣ : ٨ - ٩)

وعلى كل فقد حدَّد المسيح لقبه وحقيقته لتلاميذه تحديداً واضحاً أشد الوضوح ، مبرأً عن كل لبس وبغير حاجة إلى تأويل . ففى ساعاته الأخيرة مع تلاميذه قال لهم ، « **أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون ، لأنى أنا كذلك** » (يوحنا ١٣ : ١٣) .

وخلاصة القول فى أسماء عيسى : إن أدقها ولا شك : « المسيح عيسى ابن مريم » ثم ما نقرأه بعد ذلك فى الأناجيل : « ابن الإنسان » - « يسوع بن يوسف الذى من الناصرة » - « ابن النجار » - « ابن داود » - « معلماً وسيداً » .

* *

• شخصية المسيح فى الأناجيل :

نعرض هنا بعض الصور والحالات والمواقف التى عرضها كَتَبة الأناجيل الأربعة لشخصية المسيح منذ مولده حتى رفعه والتى يكفى ذكرها دون الحاجة إلى كثير من الشروح والتأويلات فحقيقتها واضحة لا تحتاج إلى تعليق .

*

● مولد المسيح وطفولته :

بقول متى : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجِدَت حبلى من الروح القدس .. فيوسف رجلها.. أراد تخليتها ولكن إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً .. لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك .. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع ».

(متى ١ : ١٨ - ٢٥)

لقد حملت مريم بابنها عيسى بنفخة من الروح القدس ، ثم سار الحمل بعد ذلك طبيعياً ، وكذلك الميلاد ، إذ يقول لوقا : « وبينما هما (يوسف ومريم) هناك ، تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وقمَّطته وأضجعته فى المذود » .

(لوقا ٢ : ٦ - ٧)

لقد كان حديث كَتَبة الأناجيل عن عدم معرفة يوسف لمريم - أى معاشرتها كزوجة قبل أن تلد ابنها البكر - سبباً لإثارة الجدل بين شيوخ المسيحية - وخاصة منذ القرن الخامس الميلادى - عما إذا كان يوسف قد عاشرها كزوجة بعد ذلك ، وعما إذا كانت قد أنجبت له ذُرِّية ، خاصة وأن الأناجيل سمت عيسى « ابنها البكر » وذكرت أن له إخوة يعيشون فى حضن أُمه .

ويقول « چون فنتون » فى تفسيره للجزء الأخير من الفقرة التى ذكرها متى : « ليس من الضرورى أن يعطى هذا إنطباعاً بأن يوسف عرفها بعد أن ولدت ابنها، لكن الإشارة إلى إخوة يسوع وأخواته التى ذكرها متى فى (١٢ : ٤٦ ، ١٣ : ٥٥) دون أى بيان آخر توحى بأنه عرفها بعد ذلك » [١] .

*

هذا .. « **ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع** .. ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أُورشليم ليقدِّموه للرب .

---

(١) المرجع السابق - ص ٤٤

كما هو مكتوب فى ناموس الرب أن **كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب** . ولكى يقدِّموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام » .
(لوقا ٢ : ٢١ - ٢٤)

*

● المسيح فى صباه :

« كان أبواه (يوسف ومريم) يذهبان كل سنة إلى أُورشليم فى عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أُورشليم كعادة العيد .

وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ..

ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما .

وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » .

هذا .. ومن المعلوم أن الأناجيل صمتت صمتاً تاماً عن الفترة بين صباه لما كان له من العمر اثنتا عشرة سنة إلى أن بدأ دعوته وله نحو ثلاثين سنة كما يقول لوقا .

*

● التمهيد للرسالة :

« جاء يسوع من الناصرة واعتمد من يوحنا فى الأردن . وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه » .

(مرقس ١ : ٩ - ١٠)

« وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة » (لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢) .

« وشهد يوحنا قائلاً : إنى قد رأيتُ الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأُعَمِّد بالماء قال لى : الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يُعَمِّد بالروح القدس » .

(يوحنا ١ : ٣٢ - ٣٣)

بعد ذلك تعرَّض المسيح لفتنة الشيطان وتجربته حتى يظهر مدى طاعته للّه ، وشدة إيمانه به ، وتمسكه بتوراة موسى :

« أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية ، **أربعين يوماً يُجَرَّب من إبليس** ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام ، ولما تمت جاع أخيراً .

وقال له إبليس : إن كنتَ ابن اللّه فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً .

فأجابه يسوع قائلاً : مكتوب [١] أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة من اللّه .

ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان وقال له إبليس : لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن .. فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع .

فأجابه يسوع وقال : اذهب يا شيطان ، إنه مكتوب [٢] : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد .

ثم جاء به إلى أُورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له : إن كنتَ ابن اللّه فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل ، لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك وأنهم على أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك .

فأجاب يسوع وقال له : إنه قيل [٣] : لا تجرب الرب إلٰهك .

---

(١) يقصد ما فى توراة موسى التى تقول : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان » (تثنية ٨ : ٣) .

(٢) يقصد ما تقوله التوراة : « الرب إلهك تتقى وإياه تعبد وباسمه تحلف » (تثنية ٦ :١٣).

(٣) القول هنا يقصد به ما فى التوراة : « لا تجربوا الرب إلهكم » (تثنية ٦ : ١٦) .

ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين .

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل .. وكان يُعَلِّم فى مجامعهم ممجداً من الجميع » (لوقا ٤ : ١ - ١٥) .

⁂

لقد عاش المسيح بين الناس يتعرض لما يتعرضون له من مشقات تتعبهم وآلام تحزنهم ومسرات تفرحهم وكان ينفعل وتجيش نفسه بشتّى العواطف والانفعالات التى يعرفها كل الناس . بل إنه كان يُقبل على الحياة أكثر مما فعل سَلَفه يحيى ابن زكريا ، فذلك ما شهد به المسيح ، وكذلك شهد كَتَبة الأناجيل .

⁂

● الطعام والشراب :

يقول المسيح : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون : به شيطان ..

جاء ابن الإنسان (المسيح) يأكل ويشرب ، فيقولون : هو ذا إنسان أكول وشريب خمر » (متى ١١ : ١٨ - ١٩) .

ويقول « چون فنتون » فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح إلى التوبة ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما . فاليهود يشبهون أولاداً سيئى المزاج مثيرين للخصام ، لا يعجبهم شىء . لقد عاش يوحنا بينهم ناسكاً متقشفاً فقالوا : به شيطان ، ولما لم يكن المسيح متقشفاً فقد قالوا : إنه ماجن ملحد » [١] .

وفى الساعات الأخيرة للمسيح مع تلاميذه « قال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم .. ثم تناول كأساً (من الخمر) وشكر وقال : خذوا هذه واقتسموها بينكم » (لوقا ٢٢ : ١٤ - ١٦) .

---

(١) المرجع السابق - ص ١٨٠

« وأقول لكم : إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكَرْمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً » (متى ٢٦ : ٢٩) .

*

● **الحب** : « قدَّموا إليه أولاداً لكى يلمسهم ، وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدَّموهم : فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم : دعوا الأولاد يأتون إلىَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت اللّه .. **فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم** » (مرقس ١٠ : ١٣ - ١٥) .

« **كان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر** ، فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين » (يوحنا ١١ : ٥ - ٦) .

*

● **متاعب الحياة وأحزانها** : « أتى إلى مدينة من السامرة .. وكانت هناك بئر يعقوب . **فإذ كان يسوع قد تعب من السفر** جلس هكذا على البئر .. فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء ، فقال لها يسوع : أعطينى لأشرب . لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً » (يوحنا ٤ : ٥ - ٨) .

وقالت مريم أخت لعازر المريض الذى توفى حديثاً : « يا سيد ، لو كنت ههنا لم يمت أخى . فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج **بالروح واضطرب** وقال : أين وضعتموه ، قالوا له : يا سيد ، تعالى وانظر ، **بكى يسوع** » (يوحنا ١١ : ٣٢ - ٣٥) .

« جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى .. ثم أخذ معه بطرس وابنى زيدى **وابتدأ يحزن ويكتئب .. فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معى** » (متى ٢٦ : ٣٦ - ٧٨) .

*

● **العجز** : « قال لهم يسوع : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته . **ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة** » .

(مرقس ٦ : ٤ - ٥)

« خرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يُجَرِّبوه . فتنهد بروحه وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية . **الحق أقول لكم لن يُعْطَى هذا الجيل آية** . ثم تركهم ودخل أيضاً السفينة ومضى إلى العبر » .

(مرقس ٨ : ١١ - ١٣)

ولقد قال المسيح بوضوح : « **أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً** » .

(يوحنا ٥ : ٣٠)

وكما عجز عن الفعل واعترف بذلك ، فقد عجز عن القول واعترف بذلك أيضاً . فحين سأله تلاميذه عن « انقضاء الدهر » ويوم القيامة قال لهم : « **أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الابن ، إلا الآب** » (مرقس ١٣ : ٣٢) .

*

● **الغضب والعنف** : « صعد يسوع إلى أورشليم ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً . **فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم** »(يوحنا ٢ : ١٣ - ١٥) .

« جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون .. قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ ؟

فأجاب وقال لهم : وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية اللّه .. **يا مراءون** .

ثم دعا الجمع وقال لهم .. **اتركوهم ، هم قادة عميان وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة** » (متى ١٥ : ١ - ١٤) .

« **لما رأى يسوع ذلك اغتاظ** » (مرقس ١٠ : ١٤) .

« نظر حوله إليهم **بغضب حزيناً** على غلاظة قلوبهم » (مرقس ٧ : ٥) .

« **جيل شرير فاسق يلتمس آية** » (متى ١٦ : ٤) .

« **ابتدأ يوبخ المدن** التى صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب . ويل لكِ يا كوزين ، ويل لك يا بيت صيدا .. وأنتِ يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية » (متى ١١ : ٢٠ - ٢٣) .

« **ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراءون** .. ويل لكم أيها القادة العميان.. أيها الجهال والعميان .. أيها الفريسى الأعمى نَقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً . ويل لكم أيها الكَتَبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات ونجاسة .. **أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم** » (متى ٢٣ - ١٥ - ٣٣) .

*

● **الخوف والاضطراب والفزع** : « لما كان فى أورشليم فى عيد الفصح آمن كثيرون باسمه .. **لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع** » (يوحنا ٢ : ٢٣ - ٢٤) .

« كان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل لأنه **لم يرد أن يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه** » (يوحنا ٧ : ١) .

« فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . **فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية** بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية » .

(يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٤)

« **انزعج بالروح واضطرب .. انزعج يسوع أيضاً فى نفسه** » .

(يوحنا ١١ : ٣٣ - ٣٨)

« الآن نفسى **قد اضطربت** وماذا أقول . **أيها الآب نجنى من هذه الساعة** » (يوحنا ٢١ : ٢٧) .

« **لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح** » (يوحنا ١٣ : ٢١) .

« وظهر له ملاك من السماء يقويه . **وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عَرقه كقطرات دم نازلة على الأرض** » .

(لوقا ٢٢ : ٣٣ - ٤٤)

* *

● المسيح بين الناس :

حرفته : « لما كان السبت ابتدأ يُعَلِّم فى المجمع . وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين : من أين لهذا هذه .. **أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا** ؟ فكانوا يعثرون به » (مرقس ٦ : ١ - ٣) .

ويقول « دنيس نينهام » فى تعليقه على هذه الفقرة : « إن كلمة النجار هنا مترجمة عن كلمة إغريقية تعنى - مثل نظيرتها العبرية - **عامل فى الحجر أو الخشب أو المعدن** ، وإن المعنى الدقيق يجب استخراجه فى كل حالة من سياق الكلام . إن آباء الكنيسة منقسمون تماماً بالنسبة لمعنى كلمة النجار هنا ، **فربما كان يسوع بنَّاء القرية وفى تلك الحالة كان لا بد أن تشتمل مهاراته على بعض أعمال النجارة** » (١) .

ويذكر « وليم باركلى » فى تفسيره للعهد الجديد أن حرفة المسيح - وهى النجارة - قد أثرَّت فى تعاليمه فقوله فى إنجيل متى : « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعَبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم ، أحملوا نيرى عليكم وتعلَّموا منى .. لأن نيرى هين وحملى خفيف » (١١ : ٢٨ - ٣٠) فإن قول المسيح : « نيرى هين » - معناه فى اللغة اليونانية : نيرى مناسب . فقد كانت أنيار الثيران تصنع من الخشب وعادة كانوا يحضرون الثور إلى النجار ليقيس النير .. وتقول الروايات القديمة إن يسوع فى السنوات الصامتة قبل بدء خدمته الجهارية كان يعمل بالنجارة ، واشتهر بأنه كان يصنع أفضل الأنيار فى كل بلاد فلسطين ، وأن الناس كانوا يأتون إليه من كل مكان ليصنع أنياراً مناسبة لثيرانهم . وتقول الروايات

---

(١) D.E.Nineham : SAINT MARK, p, 185.

إن المحلات كانت تضع لوحات فوق أبوابها إعلاناً عن نوع العمل فيها ، **وغالباً كان يسوع يضع فوق دكان النجارة لوحة تقول : نيرى مناسب - أو نيرى هين** - وربما استخدم يسوع التعبير عينه الذى كان يضعه على دكان النجارة فى الناصرة » [١] .

*

● **إخوته** : « وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : **هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك** . فأجاب وقال للقائل له : مَن هى أُمى ومَن هم إخوتى .

ثم مَدَّ يده نحو تلاميذه وقال : ها هى أُمى وإخوتى »(متى ١٢ : ٤٦ - ٤٩) .

ويقول چون فنتون : « ليس هنا ما يُعلم عن علاقة هؤلاء الإخوة بيسوع ، ومنذ القرنين الرابع والخامس جرى العُرف على أن مريم لم يكن لها أولاد سوى يسوع ، وإن أولئك الإخوة كانوا إما أولاداً ليوسف من زواج سابق أو كانوا أبناء عمومة أو خئولة ليسوع .

وعندما يقول متى إن يوسف : لم يعرفها (مريم) حتى ولدت ابنها البكر (١ : ٢٥) فيمكن أن يعنى هذا أن إخوة يسوع وأخواته كانوا الأولاد الصغار ليوسف ومريم » [٢] .

*

● **رِدَّةُ أصحابه** : « قال لهم يسوع .. كما أرسلنى الآب الحى ، وأنا حى بالآب ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى .. فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا : إن هذا الكلام صعب . مَن يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا .

---

(١) تفسير العهد الجديد - تأليف الدكتور وليم باركلى - ترجمة الدكتور بطرس عبد الملك وأخرين - ص ٤١٤ ، ٤١٥

(٢) J. C. Fenton : SAINT MATTEW, p. 206

من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للإثنى عشر : ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا » ؟ !

(يوحنا ٦: ٥٣ - ٦٧)

« وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً . فقال له إخوته : انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التى تعمل .. لأن **إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به** » (يوحنا ٧ : ٢ - ٥) .

« أقام إثنى عشر (تلميذاً) ليكونوا معه وليرسلهم ليُكَرِّزوا .. ثم أتوا إلى بيت . فاجتمع أيضاً جمع حتى لم يقدروا ولا على أكل خبز .

ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل (العقل) » .

(مرقس ٣ : ١٤ - ٢١)

*

● **عقيدة الذين شاهدوا المسيح ومعجزاته وآمنوا به** : « كان بارتيماس الأعمى .. جالساً على الطريق يستعطى . فلما سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول : **يا يسوع ابن داود ارحمنى** .. فأجاب يسوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : يا سيدى أن أبصر . فقال له يسوع : **اذهب ، إيمانك قد شفاك** . فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق » .

(مرقس : ١٠ : ٤٦ - ٥٢)

« ذهب إلى مدينة تدعى نايين .. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأُمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة . فلما رآها تحنن عليها وقال لها : لا تبكى ، ثم تقدَّم ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال : أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أُمه .

فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم ».

(لوقا ٧ : ١١ - ١٦)

« مضى يسوع إلى عبر الجليل .. وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى

كان يصنعها فى المرضى .. قال له واحد من تلاميذه .. هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزَّع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه : اجمعوا الكسر الفاضلة لكى لا يضيع شىء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين .

فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (يوحنا ٦ : ١ - ١٤) .

« وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولاته .. **فتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى** وقال له : اذهب واغتسل فى بركة سلوام .. فمضى واغتسل وأتى بصيراً .

فالجيران .. قالوا له : كيف انفتحت عيناك ؟ أجاب ذلك وقال : إنسان يقال له يسوع .

فاتوا إلى الفريسيين .. وكان بينهم شقاق ، قالوا أيضاً للأعمى : ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك . **فقال : إنه نبى** ..

فدعوا ثانية الإنسان الذى كان أعمى وقالوا له : أعط مجدا للّه . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء .. أجاب الرجل وقال لهم : إن فى هذا عجباً إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينى . ونعلم أن اللّه لا يسمع للخطاة ، **ولكن إن كان أحد يتقى اللّه وينفعل مشيئته فلهذا يسمع »** (يوحنا ٩ : ١ - ٣١).

« لما قربوا من أُورشليم .. حينئذ أرسل يسوع تلميذين .. أتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما . والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق ..

والجموع الذين تقدَّموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : **أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب .**

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة : مَن هذا .

فقالت الجموع : هذا **يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل** » .

(متى ٢١ : ١ - ١١)

« ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع **لأنه كان عندهم مثل نبى** » .

(متى ٢١ : ٤٥ - ٤٦)

من الواضح الآن أن الذين شاهدوا المسيح ورأوا الآيات التى صنعها أمامهم أو صنعها من أجلهم - مثل إحياء ابن الأرملة - جميعهم آمنوا به باعتباره نبى عصره . فهو « يسوع بن داود » و « نبى عظيم » .

و « بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » و « إنسان .. نبى .. يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع له » .

فالمسيح عند الذين آمنوا « **مثل نبى** » تماماً كما كان أمر يحيى بن زكريا : « فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا .. وطرحه فى سجن .. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب ، **لأنه كان عندهم مثل نبى** » (متى ١٤ : ٣ - ٥) .

* *

● المسيح بين يدى الله :

جاء المسيح رسولاً من الله يدعو إليه - سبحانه - بإذنه ، ولذا تكفل الله بتعليمه ماذا يقول وماذا يفعل . ولقد بيّن المسيح هذه الحقيقة الهامة فى محاوراته مع اليهود :

« صعد يسوع إلى الهيكل وكان يُعَلِّم ، فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ؟

أجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى . إن

شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من اللّه أم أتكلم أنا من نفسى .

مَن يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما مَن يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » (يوحنا ٧ : ١٤ - ١٨) .

« لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية ، فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » .

(يوحنا ١٢ : ٤٩ - ٥٠)

ثم بيَّن المسيح بعد ذلك أن مَن يطمع فى الحياة الأبدية والنعيم الخالد ، عليه أولاً أن يؤمن باللّه الذى أرسله ، فذاك جوهر العقيدة التى جاء بها المسيح :

« الحق الحق أقول لكم : إن مَن يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (يوحنا ٥ : ٢٤) .

ولقد كانت صلاة المسيح فى ساعاته الأخيرة دعوة إلى التوحيد الخالص تقول : « لا إله إلا اللّه ، المسيح رسول اللّه » :

« تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال .. وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يوحنا ١٧ - ١ - ٣) .

وفى حديث مع اليهود قال لهم : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض ، والمجد الذى من **الإله الواحد** لستم تطلبونه » .

(يوحنا ٥ : ٤٤)

ولقد انحسمت تماماً قضية التوحيد فى عقيدة المسيح الصحيحة التى جاء بها ودعا إليها ، كما يُستبان بوضوح من هذا القصص الذى سجله ثلاثة من الأناجيل الأربعة .

فقد « جاء واحد من الكَتَبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله : أية وصية هى أول الكل ؟

فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى .

وثانية مثلها هى : تحب قريبك كنفسك .

ليس وصية أخرى أعظم من هاتين .

فقال له الكاتب : جيداً يا معلم . بالحق قلتَ ، لأنه اللّه واحد ، وليس آخر سواه .

ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح .

فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : لستَ بعيداً عن ملكوت اللّه » (مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤ ، متى ٢٢ : ٣٥ - ٤٠ ، لوقا ١٠ : ٢٥ - ٢٨) .

وحتى لا تكون هناك فرصة للتقول على المسيح والخلط بينه وبين اللّه - وبعد أن نتذكر تفسير الإنجيل بأن : ابن اللّه يعنى المؤمن به - نورد ما سجله كَتَبة الأناجيل على لسان المسيح حيث حدَّد حقيقة الأمر بينه وبين اللّه تحديداً قاطعاً لا لبس فيه ولا اجتهاد :

« لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، **لأن أبى أعظم منى** » (يوحنا ١٤ : ٢٨) .

« **أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم** » (يوحنا ٢٠ : ١٧) .

« وسأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ! **فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ؟؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو اللّه .**

أنت تعرف الوصايا : لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكْرِم أباك وأمك » (لوقا ١٨ : ١٨ - ٢٠) .

بل إن المسيح حدَّد وضعه بالنسبة للروح القدس فقال : « كل خطية وتجديف يُغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يُغفر للناس . ومَن قال كلمة على ابن الإنسان (المسيح) يُغفر له ، وأما مَن قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا فى هذا العالَم ولا فى الآتى » (متى ١٢ : ٣١ - ٣٢) .

ولقد بيَّن المسيح : أن الله ذات ، وأن المسيح ذات أخرى ، فهما اثنان وليسا واحداً ، ومحال أن يكون الاثنان واحداً .

فلقد قال للفريسيين : « فى ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق : أنا هو الشاهد لنفسى ،. ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » .

(يوحنا ٨ : ١٧ - ١٨)

إن هذا القول واضح تماماً لدرجة أنه لم يعد يقبل أى تعليق .

كذلك بيَّن المسيح أن لله مشيئة ، وللمسيح مشيئة أخرى ، وهو - ككل عبيد الله الصالحين يجاهد دائماً لتتطابق مشيئته مع مشيئة الله . وتلك مرتبة الرضا الكامل بقضاء الله والتى لا ينالها إلا العباد المخلصون .

فحين أحس المسيح بالخطر يتهدده « كان يُصَلِّى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن .

وقال : يا أبا الآب ، كل شىء مستطاع لك ، فأجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت » (مرقس ١٤ : ٣٥ - ٣٦) .

وفى حديث مع اليهود كان قوله لهم : « كما أسمع أدين ودينونتى عادلة ، **لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى** » .

(يوحنا ٥ : ٣٠)

ولقد كان المسيح خاشعاً لله ، يُصَلِّى له فى كل حين ويُفَضِّل أن تكون صلاته على انفراد ، ويتوجَّه إليه بالدعاء عند الحاجة ، وبالشكر فى كل حين وخاصة

حين يُستجاب له « **وفى الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء ، وكان يصلى هناك** ، فتبعه سمعان والذين معه ، ولما وجدوه قالوا له : إن الجميع يطلبونك » (مرقس ١ : ٣٥ - ٣٦) .

« وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع . **وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى ولما صار المساء كان هناك وحده** » (متى ١٤ : ٢٢ - ٢٣)

« **فى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى . وقضى اللّيل كله فى الصلاة للّه** » (لوقا ٦ : ١٢) .

« فى تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال : « **أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض** » (لوقا ١٠ : ٢١) .

« ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : **أيها الآب ، أشكرك لأنك قد سمعتَ لى** » (يوحنا ١١ : ٤١) .

*

● معجزات المسيح :

ينتهى إنجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أُخر صنعها يسوع إن كُتِبَت واحدة واحدة فلست أظن أن العالَم نفسه يسوغ الكتب المكتوبة » (٢١ : ٢٥) .

من الواضح أن هذا القول قائم على الظن ، ومن أُمهات الحقائق ، ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ﴾ ومع ذلك فلنفرض أن المسيح قضى فترة رسالته - التى لم تزد عن ثلاث سنوات - وهو يصنع آيات ومعجزات ، فمن المؤكد أنها لو كُتِبَت جميعها فإن العالَم يسعها وزيادة . على أن ما يعنينا فى هذا المقام هو تركيز إنجيل يوحنا على معجزات المسيح باعتبارها الأساس الذى يقوم عليه القول بأن « المسيح ابن اللّه » كما يتضح من نهاية الإصحاح قبل الأخير الذى يقول :

« وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قُدَّام تلاميذه لم تُكْتَب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن اللّه ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣٠ - ٣١) .

لقد سبق أن بيّنا أن « ابن اللّه » لا يعنى - حسب تفسير يوحنا نفسه - أكثر من « المؤمنين باسمه » وأحبائه ومتقيه الذين يسمع لهم - سبحانه - ويظلهم برحمته - ومع ذلك فلننظر فى معجزات المسيح وآياته التى تكلمت عنها الأناجيل .

لقد سبق أن بيّنا كيف عجز المسيح فى بعض مواقف التحدى عن صنع آية تُلجِم خصومه ومعارضيه « **فلم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة** » ولقد قالها المسيح صراحة : « **أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً** » فهو قد رد الفعل كله للّه وبَرَّأ نفسه أن يكون له فى ذلك فضل . وفى هذا يقول الإنجيل :

« أجاب يسوع وقال لهم : **الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل .. لأن الآب يحب الابن ويُريه جميع ما هو يعمله** » (يوحنا ٥ : ١٩ - ٢٠) .

ولقد كان المسيح يفعل آياته كلها باسم اللّه الذى أرسله . فقد قال لليهود :

« الأعمال التى أنا أعملها **باسم** أبى هى تشهد لى »(يوحنا ١٠ : ٢٤ - ٢٥)

ومن المؤكد أنه مهما جرت من آيات وعجائب على أيدى المؤمنين فإنها ليست مبرراً لأى خلط بينهم وبين اللّه على أية صورة من الصور ، فالإنجيل يذكر قولاً للمسيح فى هذا الصدد يهدم نظرية إتخاذ المعجزات برهاناً على صدق النظريات الفلسفية التى شاعت فى العالَم القديم عن حلول الإله فى الإنسان أو حدوث اتحاد بينهما . فهو يقول على لسان المسيح :

« **الحق الحق أقول لكم : مَن يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها** » (يوحنا ١٤ : ١٢) .

فالحديث عن الروابط بين اللّه والمسيح ، أو بين المسيح والمؤمنين ، أو بين اللّه

والمؤمنين لا يسمح بالحديث عن « روابط بين جواهر » أو « اتصال ذات بذات » أو « انبثاق ذات من ذات » وإنما غاية القول فيه أن يكون حديثاً عن صلات روحية ومعنوية .

يقول الإنجيل على لسان المسيح : « الذى يقبل مَن أُرسله يقبلنى ، والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » (يوحنا ١٣ : ٢٠) .

« الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى » (يوحنا ١٢ : ٤٤) .

« كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا فى محبتى . إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ، كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته » (يوحنا ١٥ : ٩ - ١٠) .

« أنا قد أعطيتهم كلامك والعالَم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالَم كما أنى لستُ من العالَم .. ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فىَّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يوحنا ١٧ : ١٤ ، ٢١) .

*

هذا .. ولقد كانت أول معجزة صنعها المسيح - حسب رواية إنجيل يوحنا - هى تحويله الماء خمراً ، بناء على إيحاء من أُمه . وكان ذلك فى عرس حضراه مع تلاميذه :

« فى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أُم يسوع هناك . ودُعِىَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس . ولما فرغت الخمر قالت أُم يسوع : ليس لهم خمر . قال لها يسوع : ما لى ولكِ يا امرأة ، لم تأتِ ساعتى بعد . قالت أُمه للخدَّام : مهما قال لكم فافعلوه . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك ..

قال لهم يسوع : املأوا الأجران ماء ، فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم : استقوا الآن وقدِّموا إلى رئيس المتكأ ، فقدَّموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هى .. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له : كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ، ومتى سكروا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن .

« هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » (يوحنا ٢ : ١ - ١١) .

وتذكر الأناجيل أن المسيح صنع آيات ومعجزات يجملها إنجيل متى فى معرض الحديث عن رسالته بقوله : « وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يُعَلِّم فى مجامعها . ويُكَرِّز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (متى ٩ : ٣٥) .

على أن نوعين من الآيات جديران بالعرض المفصَّل لما لها من أهمية وإثارة ، وهما : إحياء الموتى ، والتنبؤ بأحداث المستقبل .

*

● إحياء الموتى :

تذكر الأناجيل الأربعة أن المسيح مارس عملية إقامة الراقدين رقاد الموت ثلاث مرات ، الأولى ذكرها مرقس ومتى ، والثانية انفرد بذكرها لوقا ، كما انفرد يوحنا بذكر الثالثة . ونبدأ بالحالة الأولى فنعلم أنها ابنة رئيس المجمع وكانت مريضة على وشك أن تموت ، وبينما ذهب أبوها يرجو المسيح أن يأتى لزيارتها لعلها تُشْفَى جاء مَن يخبره بموتها لكن المسيح يذهب إليها ويأخذ بيدها فتقوم من رقادها . ونعرض القصة حسب رواية مرقس فنقول :

« كان (المسيح) عند البحر ، وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه يايرس جاء .. وطلب إليه كثيراً قائلاً : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة . ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا . فمضى معه وتبعه جمع كثير ، وكانوا يزحمونه .

وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت . لماذا تتعب المعلم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التى قيلت فقال لرئيس المجمع : لا تخف ،آمــن فقط . ولم يدع أحداً يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب .

فجاء إلى بيت رئيس المجمع ، ورأى ضجيجاً يبكون ويولولون كثيراً ، فدخل وقال لهم : لماذا تضجون وتبكون ؟ **لم تمت الصبية لكنها نائمة** .

فضحكوا عليه ، أما هو فأخرج الجميع ، وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة . وأمسك بيد الصبية وقال لها : طليثا قومى ، الذى تفسيره : يا صبية لك أقول قومى . وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتى عشرة سنة . فبهتوا بهتاً عظيماً ، **فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك** وقال : أن تعطى لتأكل » (مرقس ٥ : ٢١ - ٤٣) .

لقد أكد مرقس على لسان المسيح قوله : « **لم تمت الصبية ، لكنها نائمة** » وكذلك أكد متى نفس الحالة إذ قال على لسان المسيح : « **إن الصبية لم تمت ، لكنها نائمة** » (متى ٩ : ٢٤)

فهل يستطيع أحد يؤمن بالمسيح والإنجيل ، أن يصر على اعتبار هذه الفتاة ميتة أحياها المسيح ؟ !

إن أقصى ما يمكن قوله فى هذه الحالة أن تلك الفتاة كانت فى حالة إغماء ، أو فقدان وعى ، أو على وشك الموت ، ثم شفاها المسيح .

وأما الحالة الثانية التى ذكرها لوقا فقد ذكرناها عند الكلام عن « عقيدة الذين شاهدوا المسيح ومعجزاته وآمنوا به » ، وكانت لابن وحيد لأمه الأرملة وقد حمله المشيعون فى النعش ، فتقدم المسيح « ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال : أيها الشاب ، لك أقول قم ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه ».

(لوقا ٧ : ١٤ - ١٥)

وأخيراً .. كانت الحالة الثالثة التى انفرد بذكرها يوحنا لميت توفى حديثاً إثر مرض . يقول يوحنا : « كان إنسان مريضاً وهو لعازر من بيت عنيبا من قرية مريم ومرثا أختها . فأرسلت الأختان إليه قائلتين : يا سيد ، هو ذا الذى تحبه مريض .

فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت ، بل لأجل مجد الله ..

ثم بعد ذلك قال لتلاميذه : لعازر مات ، وأنا أفرح لأجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا ، ولكن لنذهب إليه .. فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر .. فقالت مرثا ليسوع :

يا سيد ، لو كنت ههنا لم يمت أخى ، **لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه .**

قال لها يسوع : سيقوم أخوك ..

وجاء إلى القبر وكانت مغارة وقد وُضِعَ عليه حجر . قال يسوع : ارفعوا الحجر .. فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : **أيها الآب ، أشكرك لأنك سمعتَ لى ، وأنا علمتُ أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتنى .**

ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هَلُمَ خارجاً ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة .. فقال لهم يسوع : حِلُّوه ودعوه يذهب » .

(يوحنا ١١ : ١ - ٤٤)

وبهذا تكتمل قصة الراقدين الذين أقامهم المسيح بعد موات ، حسبما روتها الأناجيل .

*

● التنبؤ بأحداث المستقبل :

تذكر الأناجيل أن المسيح تنبأ لتلاميذه . بانقضاء الدهر وانهدام النظام الكونى بأكمله ، ثم عودته بعد ذلك ليدين الناس . وأن كل تلك الأحداث الجسام سوف تحدث فى الجيل الذى عاش فيه تلاميذه . يقول إنجيل متى : « فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدَّم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين ..

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب .

الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » .

(متى ٢٤ : ٣ - ٣٤)

وبالمثل قال إنجيل مرقس : « الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (مرقس ١٣ : ٣٢) .

وكذلك قال إنجيل لوقا : « الحق أقول لكم : إنه لا يمضى هذا الجيل حتى يكون الكل » (لوقا ٢١ : ٣٢) .

إن تنبؤ المسيح بانقضاء العالَم وعودته ثانية إلى الأرض لم يُذكر فقط فى تلك المناسبة التى اختارها التلاميذ لسؤاله ، إنما تكرر ذلك فى مواضع كثيرة من الأناجيل ، مما يبيِّن أنها كانت عقيدة سادت بين المسيحيين الأوائل الذين عاصروا المسيح ومن بينهم واحد من كَتَبة الأناجيل هو متى .

إن الحديث عن التنبؤ بانقضاء العالَم فى الجيل الذى عاصر المسيح لم يعد فى حاجة إلى تعليق بعد أن ظل العالَم قائماً بعد جيل المسيح إلى اليوم بما يقرب من خمسين جيلاً .

* *

● معجزات المسيح بين معجزات سابقيه :

تحدثت الأناجيل عن معجزات كثيرة للمسيح شملت مجالات أربع هى : شفاء المرضى والعاجزين ، ومباركة الطعام وتكثيره ، وإحياء الموتى ، والتنبؤ بأحداث المستقبل . وقد استعرضنا بالتفصيل ما قيل فى معجزات المجالين الأخيرين باعتبارهما أكثر أهمية وإثارة .

ونريد الآن أن نستعرض معجزات المسيح مع معجزات عدد محدود من الأنبياء الذين سبقوه لننظر أوجه الائتلاف والاختلاف ، ثم نقرر بعد ذلك الوضع الصحيح لمعجزات المسيح بين معجزات سابقيه .

*

فإذا بدأنا بمجال إحياء الموتى لوجدنا أن إلياس - كما سبق بيانه - قد سبق المسيح فى هذا المجال وأحيا ابن الأرملة (الملوك الأول : ١٧) ، وكذلك فعل تلميذه وخليفته إليشع نفس الشىء بابن المرأة الشونمية . فقد « دخل إليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره . فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلّى إلى الرب . ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدّد عليه فسخن جسد الولد . ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدّد عليه **فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه .**

فدعا حيجزى (غلامه) وقال : ادع هذه الشونمية ، فدعاها ، ولما دخلت إليه قال : احملى ابنك ، فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت » (الملوك الثانى ٤ : ٣٢ - ٣٧) .

بل إن إليشع هذا مارَسَ عملية إحياء الموتى بعد وفاته . فقد حدث عندما كان قومه يدفنون أحد موتاهم على عجل خوفاً من الغزاة أن أسقطوا ذلك الميت فى قبر إليشع ، فلمس جسده عظام إليشع ، وفى الحال عادت له الروح وقام الرجل الميت يسعى على رجليه :

« مات إليشع فدفنوه . وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر إليشع . **فلما نزل الرجل ومس عظام إليشع ، عاش وقام علي رجليه** ».

(الملوك الثانى ١٣ : ٢٠ - ٢١)

بل إن حزقيال لم يحيى عدداً محدوداً من الموتى حديثى الوفاة فقط ، إنما

أحيا جيشاً عظيماً من الموتى بعد أن طال عليهم الأمد وتحلّلت رفاتهم ونخرت عظامهم :

« كانت على يد الرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاماً وأمرنى عليها من حولها وإذا هى كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هى يابسة جداً . فقال لى : يابن آدم .. أتحيا هذه العظام ؟ فقلت : يا سيد الرب ، أنت تعلم ، فقال لى : تنبأ على هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب . هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : هأنذا أُدخل فيكم روحاً فتحيون وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب .

فتنبأتُ كما أُمِرْت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه ونظرتُ وإذا بالعصب واللّحم كساها وبُسِطَ الجلد عليها من فوق وليس فيها روح .

فقال لى : تنبأ للروح ، تنبأ يابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب : هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا .

فتنبأتُ كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً » (حزقيال ٣٧ : ١ - ١٠) .

*

وفى مجال التنبؤ بأحداث المستقبل نجد إلياس قد تنبأ بحدث الجفاف والقحط وذلك فى موقف التحدى لآخاب الملك الشرير حيث قال له : « حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه : أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى » .

وقد حدث الجفاف كما تنبأ إيليا « فلم يكن مطر فى الأرض » .

وبعد انقضاء سنوات الجفاف « كان كلام الرب إلى إيليا فى السنة الثالثة

قائلاً : اذهب وتراء لآخاب فأعطى مطراً على وجه الأرض . فذهب إيليا ليتراءى لآخاب .

وقال إيليا لآخاب : اصعد كُلْ واشرب لأنه حس دوىّ مطر . وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم » ..

وكذلك تنبأ إليشع بالجفاف سبع سنين وتحققت نبوءته :

« كلم إليشع المرأة التى أحيا ابنها قائلاً : قومى انطلقى أنتِ وبيتك وتغرَّبى حيثما تتغرَّبى لأن الرب قد دعا بجوع فيأتى أيضاً على الأرض سبع سنين .

فقامت المرأة وفعلت حسب كلام رجل الله وانطلقت هى وبيتها وتغرَّبت فى أرض الفلسطينين سبع سنين وفى نهاية السبع سنين رجعت المرأة من أرض الفلسطينيين » (الملوك الثانى ٨ : ١ - ٣) .

وكما سبق أن نبَّأت الملائكة إبراهيم بمولد ابن له من زوجته سارة العاقر ، على لسان الرب قائلة :

« إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن » .

(تكوين ١٨ : ١٠)

« وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت وولدت لإبراهيم ابناً .. إسحق » .

(تكوين ٢١ : ١ - ٣)

كذلك فعل إليشع تلميذ إلياس مع المرأة الشونمية التى « لم يكن لها ابن ورجلها قد شاخ .. فقال (إليشع) : فى هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً .. **فحملت المرأة وولدت ابناً فى ذلك الميعاد نحو زمان الحياة كما قال لها إليشع ، وكبر الولد** » (الملوك الثانى ٤ : ١٤ - ١٨) .

*

وفى مجال شفاء المرضى والعاجزين نجد موسى قد فعل أكثر من هذا إذ أوقف سريان وباء مميت اجتاح بنى إسرائيل عقاباً لهم على تذمرهم على موسى

وهارون فقال موسى لهارون : « خذ المجمرة .. وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكَفِّرْ عنهم لأن السخط قد خرج من قِبَلِ الرب ، فأخذها هارون كما قال موسى .. **فامتنع الوبأ** .

فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفاً وسبعمائة » .

(عدد ١٦ : ٤٦ - ٤٩)

كذلك أوقف موسى عملية إبادة جماعية لبنى إسرائيل حين سَلَّطَ اللّه عليهم الحيَّات لتهلكهم عقاباً لهم على تذمرهم فقد « أرسل الرب على الشعب الحيَّات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل فأتى الشعب إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا ، تكلمنا على الرب وعليك ، فَصَلِّ إلى الرب ليرفع عنا الحيَّات .. فصلّى موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل مَن لُدِغَ ونظر إليها يحيا . **فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية ، فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا** » (العدد ٢١ : ٦ - ٩) .

كذلك نجد إليشع قد برأ نعمان قائد جيش الأراميين عندما جاء نعمان بخيله ومركباته ووقف عند باب بيت إليشع « فأرسل إليه اليشع رسولاً يقول : اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن فيرجع لحمك إليك .. **فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر** » (الملوك الثانى ٥ : ٩ - ١٤) .

كذلك رد إليشع البصر إلى جيش كبير من الأراميين بعد أن دعا عليهم بالعمى حتى يستطيع أسرهم وقيادتهم إلى حيث يريد . فقد أرسل ملك أرام : « خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً وجاءوا ليلاً وأحاطوا بالمدينة فبكَّر خادم رجل اللّه وقام وخرج ، وإذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات . فقال غلامه له : آه يا سيدى، كيف نعمل ؟ فقال : لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم .

ولما نزلوا إليه صلّى إليشع إلى الرب وقال : اضرب هؤلاء الأمم بالعمى ، فضربهم بالعمى كقول إليشع . فقال لهم إليشع : اتبعونى

فأسير بكم إلى الرجل الذى تفتشون عليه ، فسار بهم إلى السامرة . **فلما دخلوا السامرة قال إليشع : يا رب ، افتح أعين هؤلاء فيبصروا . ففتح الرب أعينهم فأبصروا وإذا هم فى وسط السامرة .**

فقال ملك إسرائيل لإليشع لما رآهم : هل أضرب ؟ .. فقال : لا تضرب .. ضع خبزاً وماء أمامهم فيأكلوا ويشربوا ثم ينطلقوا إلى سيدهم .. فأكلوا وشربوا ثم أطلقهم .

ولم تعد جيوش أرام تدخل إلى أرض إسرائيل » .

(الملوك الثانى ٦ : ١٣ - ٢٣)

*

وفى مجال مباركة الطعام وتكثيره ، سوف لا نتكلم عن الأعاجيب الكبيرة والكثيرة التى جرت على يد موسى فى هذا المجال ، ولكنا نذكر إلياس وكيف كانت تعوله الغربان وتأتى إليه بالخبز واللحم صباح مساء ، وكيف استمر يقتات هو ومَن فى بيت المرأة التى كان نازلاً عندها من كنار دقيق وكوز زيت طيلة سنوات القحط . (الملوك الأول : ١٧) .

كذلك بارك إليشع دهنة زيت فى بيت امرأة فقيرة « فقال : اذهبى استعيرى لنفسك أوعية من خارج من عند جميع جيرانك أوعية فارغة لا تقللى ثم ادخلى وأغلقى الباب على نفسك وعلى بيتك وصُبّى فى جميع هذه الأوعية وما امتلأ انقليه .

فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بنيها وكانوا هم يقدّمون لها الأوعية وهى تصب ، ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها : قَدِّم لى أيضاً وعاء ، فقال لها : لا يوجد بعد وعاء ، فوقف الزيت فأتت وأخبرت رجل اللّه (إليشع) فقال : اذهبى بيعى الزيت وأوفى دينك وعيشى أنت بما بقى »

(الملوك الثانى ٤ : ٣- ٧)

وأيضاً « جاء رجل ... وأحضر لرجل اللّه خبز باكورة عشرين رغيفاً .. فقال (إليشع) : أعط الشعب ليأكلوا . فقال خادمه : ماذا ؟ هل أجعل هذا أمام

مئة رجل . **فقال : أعط الشعب فيأكلوا لأنه هكذا قال الرب : يأكلون ويفضل عنهم ، فجعل أمامهم فأكلوا وفضل عنهم »** .

(الملوك الثانى ٤ : ٤٢ - ٤٣)

* *

هذا .. وإذا ما تركنا تلك المجالات الأربع التى تحدثنا فيها عن معجزات المسيح بين معجزات سابقيه ، لوجدنا سبقاً كذلك فى المجالات الأخرى لمن كان قبله من الأنبياء .

فقد حدث للمسيح مع تلاميذه أنهم « لما خرجوا من بيت عنيا ، جاع ، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً ، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً ، لأنه لم يكن وقت التين ، فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منكِ ثمراً بعد إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون .

وجاءوا إلى أورشليم .. ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة . وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول . فتذكر بطرس وقال له : يا سيدى ، انظر التينة التى لعنتها قد يبست » (مرقس ١١ : ١٢ - ٢١) .

وهنا نذكر ما كان من أمر إليشع « وفيما هو صاعد فى الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له : اصعد يا أقرع .. اصعد يا أقرع . فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب .

فخرجت دببتان من الوعر وأفترستا منهم اثنين وأربعين ولداً ».

(الملوك الثانى ٢ : ٢٣ - ٢٤)

وعندما كذب خادم إليشع عليه وأخذ من الهدية التى كان نعمان يريد تقديمها إليه اعترافاً بفضله فى شفائه والتى رفضها إليشع من قبل ، دعا عليه قائلاً : « **برص نعمان يلتصق بك وبنسلك إلى الأبد ، فخرج من أمامه أبرص كالثلج** » (الملوك الثانى ٥ : ٢٧) .

*

وأخيراً - وليس آخراً - نأتى إلى مجال الرفع إلى السماء ، فنجد الأنبياء السابقين ، قد سبقوا أيضاً فى هذا المجال .

فهذا أخنوخ (إدريس) قد رُفِعَ إلى السماء فقد « سار أخنوخ مع اللّه ولم يوجد لأن اللّه أخذه » (تكوين ٥ : ٢٥) .

كذلك انتهت حياة إلياس بالرفع إلى السماء أمام أعين الناس « وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » .

*

والآن نصل إلى الحقيقة التى تُرَى واضحة كل الوضوح يراها كل المبصرين فيقولون صدقاً : **إن أقصى ما يقال فى معجزات المسيح هو ما قاله بطرس رئيس تلاميذه وأعلنه على رءوس الأشهاد :** « أيها الإسرائيليون .. اسمعوا هذه الأقوال :

يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلِ اللّه بقوات وعجائب وآيات صنعها اللّه بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون » .

(أعمال الرسل ٢ : ٢٢)

« فتح بطرس فاه وقال .. أنتم تعلمون الأمر الذى صار فى كل اليهودية .. **يسوع الذى من الناصرة وكيف مسحه اللّه بالروح القدس والقوة الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لأن اللّه كان معه »** (أعمال الرسل ١٠ : ٣٤ - ٣٨) .

فهى معجزات وآيات الفضل الأول والأخير فيها للّه الذى أكرمه بها كما أكرم الأنبياء قبله . ومن لطف اللّه بخلقه أن جعل معجزات المسيح تكراراً لبعض معجزات سابقيه . ويُلاحَظ أنها جميعاً معجزات أرضية خلافاً لما فعله موسى من الكثير من المعجزات الأرضية منها والسماوية على السواء . لقد شاهد بنو إسرائيل المعجزات تنزل عليهم من السماء أثناء خروجهم من مصر ، إذ « انتقل ملاك اللّه السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل .

ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء » (خروج ١٤ : ١٩ - ٢١) .

وفى سيناء شاهد بنو إسرائيل الخبز ينزل عليهم من السماء « فكان فى المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة ، وفى الصباح كان سقيط الندى حوالى المحلة . ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شىء دقيق مثل قشور ، دقيق كالجليد على الأرض . فلما رأى بنو إسرائيل قالوا بعضهم لبعض : مَن هو؟ لأنهم لم يعرفوا ما هو . فقال لهم موسى : هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا .. التقطوا منه كل واحد حسب أكله » (خروج ١٦ : ١٣ - ١٦) .

ولذلك كان بنو إسرائيل على عهد المسيح فخورين بمعجزات موسى ، يرونها أكبر وأعظم من تلك التى يُجريها المسيح ، وكان قولهم له : « **أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المنَّ فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا** » (يوحنا ٦ : ٣٠-٣١)

« وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليُجَرِّبوه **فسألوه أن يريهم آية من السماء** » (متى ١٥ : ١) .

الحق إن معجزات المسيح ليس فيها جديد ، وإذا ما استعرنا لغة سفر « الجامعة » نقول : **ليس تحت الشمس جديد** .

* *

● المسيح ومعجزاته :

هناك ظاهرة تغلب فى الأناجيل حين تتحدث عن معجزات المسيح فنجدها تبيِّن على لسانه حرصه الدائم على كتمان ما أجراه اللّه على يديه من آيات ، وما ذلك إلا حرصاً منه على عدم فتنة القوم فيه . لقد كان المسيح يعلم تماماً مقدار التخلف الفكرى والعقائدى فى زمانه وكيف كان الناس يخترعون آلهة ينسجون حولها أساطير وينسبون لها أفعالاً يخلطونها بأفعال البَشر ، فيقولون : هذا إلٰه نزل من السماء ، وذلك ابن إلٰه صعد إلى السماء .

ويرينا سفر « أعمال الرسل » كيف كانت الألوهية تُخلع على البشر بكل بساطة فى ذلك الزمان وبين تلك الأمم التى بدأت فيها الدعوة للمسيحية . فقد « كان يجلس فى لسترة رجل عاجز . هذا كان يسمع بولس يتكلم فشخَصَ إليه

وإذ رأى أن له إيماناً ليشفى قال بصوت عظيم : قم على رِجلك منتصباً ، فوثب وصار يمشى .

فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين: إن الآلهة تشبَّهوا بالناس ونزلوا إلينا . فكانوا يدعون برنابا « زفس » وبولس « هرمس » .. فأتى كاهن زفس الذى كان قُدَّام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح .

فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما . واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين :

أيها الرجال ، لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضاً بَشر تحت آلام مثلكم نُبَشِّركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » (أعمال الرسل ١٤ : ٨ - ١٥) .

« ولما نجوا وجدوا أن الجزيرة تدعى مليطة فقدَّم أهلها البرابرة إحساناً غير المعتاد لأنهم أوقدوا ناراً وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذى أصابنا ومن أجل البرد .

فجمع بولس كثيراً من القضبان ووضعها على النار فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت فى يده .. فنفض هو الوحش إلى النار ولم يتضرر بشىء ردىء ، وأما هم فكانوا ينتظرون أنه عتيد أن ينتفخ أو يسقط بغتة ميتاً .

فإذ انتظروا كثيراً ورأوا أنه لم يعرض له شىء مضر ، تغيَّروا وقالوا : هو إله » (أعمال الرسل ٢٨ : ١ - ٦) .

« وفى يوم معين لبس هيرودس الحلة الملوكية وجلس على كرسى المُلك وجعل يخاطبهم ، فصرخ الشعب : **هذا صوت إله لا صوت إنسان »** .

(أعمال الرسل ١٢ : ٢١ - ٢٢)

من أجل ذلك حرص المسيح على كتمان معجزاته التى ارتبط حدوثها دائماً بإيمان الذين طلبوها فصُنِعَت من أجلهم . هكذا قال المسيح وعَلَّم بأن إيمان الإنسان هو الذى صنع المعجزة وهو إيمان مشترك بين الفاعل وذلك الذى صُنِعَت من أجله ، وحين يُفقد ذلك الإيمان يحدث دائماً العجز والإخفاق .

فلقد حدث أن جاء المسيح وتلاميذه إلى المجمع « فتقدم إليه رجل جاثياً وقائلاً : يا سيد ، ارحم ابنى فإنه يُصرع ويتألم شديداً .. وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه . فاجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوى ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟

قدِّموه إلى ههنا . فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشُفِيَ الغلام من تلك الساعة .

ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نُخْرِجه؟

فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم ، فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » (متى ١٧ : ١٤ - ٢٠) .

فلنبحث دائماً فى معجزات المسيح عن شيئين هما : الإيمان والكتمان ، ولسوف نجدهما دائماً متلازمين . فهكذا تقول الشواهد التى نذكر منها :

● **إحياء بنت رئيس المجمع** : فبعد أن « **قامت الصبية ومشت .. أوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك** » .

(مرقس ٥ : ٣٥ - ٤٣ ، لوقا ٨ : ٤٩ - ٤٦)

● **تطهير الأبرص** : « أتى إليه أبرص . قائلاً له : إن أردت تقدر أن تطهرنى . فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له : أريد فاطهر . فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص »

بعد ذلك « انتهوا للوقت وقال : انظر لا تقل لأحد شيئاً » (مرقس ١ : ٤٩ - ٤٤ ، متى ٨ : ١ - ٤ ، لوقا ٥ : ١٢ - ١٤) .

● **شفاء الأعمى** : تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا يابن داود .. فقال لهما يسوع : أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ قالا له : نعم يا سيد . حينئذ لمس أعينهما **قائلاً : بحسب إيمانكما ليكن لكما . فانفتحت أعينهما** » .

بعد ذلك « **انتهرهما يسوع قائلاً : انظرا لا يعلم أحد** . ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها » .

(متى ٩ : ٢٧ - ٣١ ، مرقس ٨ : ٢٢ - ٢٦)

● **إخراج الشياطين** : « قدَّموا إليه جميع السقماء والمجانين . فشفى كثيرين كانوا مرضى .. وأخرج شياطين » .

بعد ذلك « **لم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه** » .

(مرقس ١ : ٣٢ - ٣٤ - ، لوقا ٤ : ٤ . - ٤١)

ويلاحَظَ أننا لم نقتبس شواهد من إنجيل يوحنا وما ذلك إلا لأن كاتب هذا الإنجيل قد ركَّزَ - كما بيَّنا - على إظهار معجزات المسيح باعتبارها الوسيلة الرئيسية للإيمان ومن ثَمَّ فهو يدعو إلى إذاعتها ونشرها بشتَّى السُبل ، ولهذا اختفت منه أقوال المسيح التى تطلب كتمان معجزاته . على أن شيئاً واحداً بقى فى هذا الإنجيل وهو شطر الإيمان الذى لم يستطع إغفاله فسار فيه على شاكلة الأناجيل الثلاثة الأخرى التى أظهرته تماماً .

فنجد الإيمان ملازماً لحدوث الآية الكبيرة فى إنجيل يوحنا ألا وهى إحياء لعازر . فلقد قالت أخته « مرثا » ليسوع : « يا سيد ، **لو كنت ههنا لم يمت أخى** . لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله ، فقال لها يسوع : سيقوم أخوكِ ..

ودعت (مرثا) مريم أُختها سراً قائلة : المعلم قد حضر وهو يدعوك ..

فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرَّت عند رجليه قائلة له : **يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى** »

لقد آمنت الأختان بالمسيح ولقد قالها المسيح لمرثا « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » ثم « رفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب ، أشكرك لأنك سمعتَ لى » بعد ذلك « خرج الميت »(يوحنا ١١ : ٢١ - ٤٤) .

وأما عن شطر الإيمان فى الأناجيل الثلاثة الأخرى فحَدِّث ولا حَرَج .

فهذا قائد المئة قال للمسيح : « يا سيد ، لستُ مستحقاً أن تدخل تحت سقفى لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى » .

« فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعون : الحق أقول لكم ، لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا » .

« ثم قال يسوع لقائد المئة : اذهب وكما آمنتُ ليكن لك . فبرأ غلامه فى تلك الساعة » (متى ٨ : ٨ - ١٣ ، لوقا ٧ : ٦ - ١٠) .

وتلك « امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه لأنها قالت فى نفسها : إن مسستُ ثوبه فقط شُفِيتُ » .

« فالتفت يسوع وأبصرها فقال : « **ثقى يا ابنة ، إيمانك قد شفاك** فشُفِيَت المرأة من تلك الساعة » .

(متى ٩ : ٢٠ - ٢٢ ، لوقا ٨ : ٤٣ - ٤٨ . مرقس ٥ : ٢٥ - ٣٤)

وتلك المرأة الكنعانية التى « صرخت إليه قائلة : ارحمنى يا سيد يابن داود. ابنتى مجنونة جداً .. **حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين . فشُفِيَت ابنتها من تلك الساعة** » .

(متى ١٥ : ٢٢ - ٢٨ ، ومرقس ٧ : ٢٦ - ٣٠)

وفى جميع الأحوال التى صنع فيها المسيح معجزاته كانت تصاحبها دائماً صلاته إلى الله ودعائه بالتوفيق والإكرام ثم الشكر على نعماء الله .

رأينا ذلك عند إحياء لعازر ، إذ « رفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب ، أشكرك لأنك سمعتَ لى » .

ونراها فى مواقف كثيرة كما حدث عند شفاء الأصم : فقد « أخذه من بين الجمع ..

ورفع نظره نحو السماء ، وأنَّ ، وقال له : أفثا - أى انفتِح - وللوقت انفتحت أذناه . فأوصاهم أن لا يقولوا لأحد » (مرقس ٧ : ٣٣ - ٣٦) .

وعند مباركة الطعام « أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارَكَ ، وكسر وأعطى للتلاميذ والتلاميذ للجموع . فأكل الجميع وشبعوا » .

(متى ١٤ : ١٩ - ٢٠ ، لوقا ٩ : ١٦ - ١٧ ، يوحنا ٦ : ١١)

وحين نجح تلاميذه فى إخراج شياطين تقدَّم بالشكر الجزيل للّه : « فى تلك الساعة تهلَّل يسوع بالروح وقال : أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال » .

(لوقا ١٠ : ٢١ ، متى ١١ : ٢٥)

*

وبعد .. إذا كانت هذه هى حقيقة معجزات المسيح وموقفه منها - وقد رأيناه يحرص دائماً على كتمانها واعتبارها فقط عاملاً يخفف من آلام المؤمنين - فكيف يمكن اتخاذها بعد ذلك برهاناً لعبادته وتأليهه ؟!

* *

● المسيح فى القرآن :

يتفق القرآن مع الإنجيل فى أن مريم العذراء ولدت ابنها المسيح بعد أن حملت به إثر نفخة من الروح القدس . فهو يذكر ذلك فى آيات فرادى وفى سور متفرقات مثل قوله :

﴿ وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ . (الأنبياء : ٩١) .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ ﴾ . (التحريم : ١٢)

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

(المؤمنون: ٥٠)

ويذكر القرآن قصة حمل مريم وولادتها فى آيات كثيرة كما جاء فى سورة آل عمران وسورة مريم ، وفى غيرهما من السور .

فالمسيح كلمة اللّه الملقاة ، وروح منه :

﴿ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (النساء : ١٧١) .

وللّه كلمات كثيرة كثرة لا نهائية ، ولذلك تعجز المخلوقات عن حصرها .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان : ٢٧) .

ومن كلمات اللّه : قضاؤه فى أكوانه وأحكامه العادلة الثابتة :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَىٰ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (يونس : ٦٢ - ٦٤) .

ومن كلمات اللّه ما يُلْقَى فيفعل فعلاً : قد ينشىء إنشاءً أو يمحو كائناً :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (النحل : ٤٠) .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس : ٨٢ - ٨٣) .

ولذلك كان أمر تخليق عيسى ليس أكثر عجباً من أمر تخليق آدم فكليهما تنفيذ لإرادة اللّه :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران : ٥٩) .

ونُلفت النظر إلى خطأ جسيم يقع فيه البعض حين يقولون إن المسيح روح اللّه ، وحقيقته أنه : **روح من اللّه** ، جاء بنفخة إلهية كتلك التى حدثت لآدم ، فقد

قال الله للملائكة إبّان عملية خلق آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر : ٢٩) .

فالمسيح ليس أكثر من عبد من عبيد الله المكرّمين ..

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ .

(الزخرف : ٥٩)

لقد جاء المسيح عيسى مثلاً ملموساً على قدرة الله على التخليق ، وذلك فى زمن طغت فيه المادية على بنى إسرائيل فأنكروا إعادة تخليق الإنسان وبعثه فى القيامة للحساب . وتحدثنا الأناجيل عن طائفة الصدوقيين التى كانت تنكر القيامة أيام المسيح ، وكان لها نفوذ وسلطان فتقول :

« **وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه** ».
(مرقس ١٢ : ١٨ ، متى ٢٢ : ٢٣ ، لوقا ٢٠ : ٢٧)

ومع بولس فى رحلاته التبشيرية « حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح » .

(أعمال الرسل ٢٣ : ٧ - ٨)

فالمسيح عبد الله أولاً وأخيراً ، و ﴿ لَّنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً *

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾ (النساء : ١٧٢ - ١٧٣) .

وبعد ذلك فالمسيح مقرَّب من الله ، مفضّل بين الرسل :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٥) .

﴿ تلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ .
(البقرة : ٢٥٣)

ولقد غلا كثيرون فى المسيح ، ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ (البقرة : ١١٦) وعبدوه فها هى (الرسالة إلى العبرانيين) تقول : « اللّه .. كلّمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء .. صائراً أعظم من الملائكة .. لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، وأيضاً : أنا أكون له أباً ، وهو يكون لى ابناً » (١ : ١ - ٥) .

ويقول بولس : « أمين هو اللّه الذى به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا » [١] (كورنثوس ١ : ٩) .

وها هو (إنجيل يوحنا) يقول فى مقدمته الشاعرية : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند اللّه ، وكان الكلمة اللّه [١] . هذا كان فى البدء عند اللّه » (١ : ١ - ٢) .

---

(١) هذه الفقرة فى الترجمة الانجليزية للنسخة المعتمدة من الكتاب المقدس تُقرأ هكذا :

< In the beginning was the Word, and the Word was with God, and the Word was God >.

ولكن ظهرت ترجمة حديثة تهذب الخلط بين اللّه وكلمة اللّه إلى حد ما وتقول :

< Before the world was created, the word already existed; he was with God, and he was the same as God > .

فهذه الترجمة الحديثة تقول : « وكان (الكلمة) مثل اللّه » بدلا من الترجمة القديمة التى تقول : « وكان الكلمة اللّه » . وعندما يكون شىء مثل شىء اخر فإن هذا يعنى بداهة أن هناك شيئين - عددهما ٢ - لكن الشىء الثانى يماثل الشىء الأول وعلى صورته . وتقول التوراة : « خلق اللّه الإنسان على صورته ، على صورة اللّه خلقه » (تكوين ١ : ٢٧) فهذا القول يعنى حسب مفهوم كَتَبة التوراة أن كل البشر قد خُلقوا على صورة اللّه تماماً مثل الكلمة .

هذا .. وقد صدرت هذه الترجمة عن : جمعية التوراة الأمريكية - بنيويورك - عام ١٩٧١

ولقد جاء القرآن يبيِّن الحق فى المسيح بأقوال محكمات ، تقطع كل شك فيه بيقين لا يعرف سوى الثبات - فهو يقول :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ المَسيحُ يَا بَنى إِسْرَائيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا للظَّالمينَ منْ أَنْصَارٍ *

لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحدٌ ، وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُواْ منْهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ *

أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفرُونَهُ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحيمٌ *

مَّا المَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ، انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ *

قُلْ أَتَعْبُدُونَ منْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً ، وَاللَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ *

قُلْ يَا أَهْلَ الكتَابِ لاَ تَغْلُواْ فى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ منْ قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثيراً وَضَلُّواْ عَنْ سَوَاءِ السَّبيلِ ﴾ .

(المائدة : ٧٢ - ٧٧)

وجاء القرآن قاطعاً فى بيان حقيقة ذلك الذى قتلوه على الصليب ، فنفى نفياً قاطعاً أن يكون ذلك قد حدث للمسيح ، فقال :

﴿ وَقَوْلهمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسيحُ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّه وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُواْ فيه لَفى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ به منْ علْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً * بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزيزاً حَكيماً ﴾ (النساء : ١٥٧ - ١٥٨) .

لقد رفعه الله كما سبق أن رفع إدريس (أخنوح) . وإلياس (إيليا) اللذين سبقا المسيح فى عملية الرفع .

وإن رفع المسيح قبل اصطياده بيد أعدائه ليتفق تماماً ونبوءات المزامير التى نذكر منها :

« لأنك قلتَ : يا رب ملجأى ؛ **جعلت العلى مسكنك** ، لا يلاقيك شر ، ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك ، على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له ، معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه ، وأريه خلاصى » .

(مزمور ٩١ : ٩ - ١٦)

ونجد صدى لهذا فى إنجيل يوحنا الذى يذكر قصة القبض على المصلوب بطريقة تخالف ما ذكرته الأناجيل الثلاثة الأخرى . فهذه الأناجيل تقول إن يهوذا الخائن سار مُرشداً لقوة الظلم التى جاءت لتقبض على المسيح الذى سيميزونه من أصحابه عندما يُقَبِّله يهوذا :

« وللوقت فيما هو (المسيح) يتكلم أقبل يهوذا واحد من الإثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى .

وكان مُسَلِّمه قد أعطاهم علامة قائلاً : الذى أُقَبِّله هو هو . أمسِكوه وامضوا بحرص .

فجاء للوقت وتقدَّم إليه قائلاً : يا سيدى ، يا سيدى ، وقَبَّله .

فألقوا أيديهم عليه وأمسَكوه » (مرقس ١٤ : ٤٣ - ٤٦ ، متى ٢٦ : ٤٧ - ٥٠ ، لوقا ٢٢ : ٤٧ - ٤٨) .

لكن إنجيل يوحنا يذكر قصة مختلفة لا دخل فيها لِقُبلَةَ الخيانة ، فقد قدَّم المسيح نفسه لطالبيه وآنذاك حدث شىء غير متوقع أصابهم بصدمة كبيرة أوقعتهم على الأرض خاصة وأن العملية كانت فى الليل :

« أخذ يهوذا الجند وخُدَّاماً .. **وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح .** فخرج يسوع وهو عالِم بكل ما يأتى عليه ، وقال لهم : مَن تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . فقال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مُسَلِّمه أيضاً واقفاً معهم .

فلما قال لهم : إنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » (يوحنا ١٨ : ٣ - ٦) .

وعلى كل فليست هذه هى المرة الأولى التى يختلف فيها إنجيل يوحنا مع الثلاثة الآخرين فقد اختلفوا كذلك فى يوم الصلب ، إذ جعله يوحنا يوم الخميس، بينما جعله الآخرون يوم الجمعة . وما من شك فى أن صلب يهوذا الخائن بدل المسيح ليتفق ونبوءات المزامير التى نذكر منها :

« أحمد الرب بكل قلبى . أُحَدِّث بجميع عجائبك ..

عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قُدَّام وجهك لأنك أقمتَ حقى ودعواى .. أهلكتَ الشرير ..

يا رافعى من أبواب الموت ..

تورَّطت الأمم فى الحفرة التى عملوها . فى الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم . معروف هو الرب . قضاء أمضى : الشرير يُعَلَّق بعمل يديه » (مزمور ٩ : ١ - ١٦) .

والحق أن قول القرآن بعدم صلب المسيح أو قتله ، لهو فى رأيى من أكبر المعجزات . وإن الدراسة الدقيقة للمراجع والأسفار المسيحية لتتفق تماماً وما جاء به القرآن [١] .

---

(١) راجع كتاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية - للمؤلف .

هذا .. وما من شك فى أن إلصاق أية ألوهية بالمسيح على أية صورة من الصور ، إنما هو شرك حرَّمه الله تحريماً قاطعاً ، وجعله إثماً غير قابل للمغفرة :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴾ (النساء : ٤٨) .

ولا يصح إيمان بالله إلا إذا تبرأ من كل شرك وأقر بالتوحيد المطلق . فذاك هو الإخلاص لله ، وبه الخلاص من عاقبة السوء . والمخلصون دائماً يقولون :

﴿ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص) .

* * *

obeikandl.com